يُوسُف - أبْناً حَبِيباً

تأليف: ادوين كيرك

تعريب

ف. أ.

بنعمة الاله من تأملات بعنوان:

Joseph - a Beloved Son

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

المحتويات

١ مقدّمة ١

٢ نمط من شعب الاله ٢
١.٢ ولادتهم ٢
٢.٢ طاعتهم ومعاناتهم ٣

٣ نمط من المسيح ٤
١.٣ ولادته ٥
٢.٣ حقيقة رفضه ٦
٣.٣ حادثة الرفض ٨
٤.٣ اسلوب الرفض ٩

٤ ندم وأسى ١٠

٥ يأس ١٠

٦ موت المسيح ١١

٧ غياب سنين كثيرة ١٢

٨ اغواء ١٢

٩ الصبر عند المعاناة ١٣

١٠ مَنسياً ١٥

١١ رجل واحد للاله ١٦

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

١٢ الاقرار برجل الاله	١٧
١٣ الايمان بالمسيح	١٨
١٤ المجد عقب الالام	١٩
١٥ يسوع المسيح هو هو	٢٠
١٦ المُعيل	٢١
١٧ تباركت الامم قبل اسرائيل	٢١
١٨ بداية المصالحة	٢٢
١٩ ادراك الحاجة	٢٣
٢٠ صحوة الضمير	٢٤
٢١ تعاملات حكيمة مع المذنبين	٢٦
٢٢ مخاوف	٢٧
٢٣ اختيار مؤلم	٢٨
٢٤ مرة اخرى امام سيّد مصر	٢٩
٢٥ تعاملات مميّزة	٣٠
٢٦ الصاق الخطيئة	٣١
٢٧ اعتراف	٣٣
٢٨ حب يقود الى حزن بحسب مشيئة الاله	٣٤
٢٩ اعلان ذاتي	٣٥

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

٣٠ مصالحة ٣٦
٣١ علاقة وشركة ٣٦
٣٢ «مخلّصاً» و «ربّاً» ٣٧
٣٣ حاملو الاخبار السارّة ٣٨
٣٤ الترحيب بالأخبار السارّة ٣٩
٣٥ الكل بالنعمة ٤٠
٣٦ نمط من الكنيسة ٤١
٣٧ نمط من الملّك الألفي ٤١
٣٨ أفكار ختامية ٤٣

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

مقدّمة

حكاية يوسف سوف لن تفقد اثارتها. بالاضافة الى قيمتها الروحية العميقة — تأريخياً ورمزياً — فان عواطفها وانفعالاتها، وتسجيلها للصبر والشجاعة الصامدة، متوّجة بمكافأة غير متوقّعة غير انها مجيدة، كانت قد فتنت عقل الطفل دوماً، سواء كان عبراني ام أممي.

يوسف كان من ضمن اولئك في عبرانيين ١١ الذين عاشوا بالايمان في عالم لم يكن مستحقاً لهم. آلامه كانت مريرة. «فِي الْحَدِيدِ دَخَلَتْ نَفْسُهُ»، «قَوْلُ الرَّبِّ امْتَحَنَهُ» (مزمور ١٠٥). تعلّم من خلال تجربة أليمة، الى اي مدى من التقلّب، والوحشية، والقسوة، وعدم الرحمة ممكن ان يكونوا رجال ونساء هذا العالم. ليس هناك من قديس في الوقت الحاضر، من يسعى بجدية لان يعيش بحسب مثال سيّده، يعجز عن الشعور، بدرجة كبيرة او صغيرة، بالقرابة الروحية من يوسف.

بصورة مثالية، فان «الام المسيح، والامجاد التي كان ينبغي ان تعقبه» لم ينذر بها في اي جزء اخر من الكتاب المقدّس بهذا القدر من السعة. كل تفصيلة بامكانها ان تحمل ثقلاً كاملا للمدلول الرمزي، كلاً فيما يخص حياة، وموت،ومُلك ربّنا، وتجربة شعبه. في هذه الدراسات التأملية، على العموم، ينبغي أن يؤخذ بنظر الاعتبار دوماً، ان سجل الاحداث هذا هو كامل من الناحية التأريخية، أي ان الاله من خلال الوحي تسبّب في كتابة تلك الأجزاء المتعلّقة فقط بخادمه والتي هي ضرورية «كمثال» لنا، ولاجل «تحذيرنا» و «تعليمنا». يوسف كان شخصاً حقيقياً، عاش في العصر المذكور، وجميع تجاربه كانت حقيقية.

لو كان يوسف اسطورة وقصته ضرباً من الخيال لكان زائفاً ذلك التشجيع المُستمَد من قبل المؤمنين على مر العصور من سرد الاحداث هذه لآلامه وترفيعه. بالاضافة الى ذلك، لن يكون هناك اي أساس — او على الاقل اساسا رمليا فقط — يبنى عليه تركيبا مثاليا، ولن تكون هناك قائمة لاجزاء من العهد الجديد، ولو تم اعتبار أي من الاجزاء اسطوريا، فكيف يمكن ان تكون هناك ثقة في الكل؟ لكن سجل الاحداث يحمل سمة الحق في وجهه. لا بل اكثر! فان الروح القدس يولّد حسّاً من القرابة الروحية في قلب المؤمن المتمرّن مع خادم الرب المُجرّب والمُمتحَن والذي يُخبر عنه. ما مرّ به يوسف، فان قديسين اخرين في ايام اخرى كانوا في معظمه قد اختبروه، ربّما ليس بنفس القدر من الالم. في اليوم الحاضر، ان القيمة التأريخية للكتاب المقدس تحظى بمكانة ارفع في تقدير

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

الباحثين مما كانت عليه منذ عقود عديدة من الزمان، وذلك لان شهادة علم الآثار والحفريات لا يمكن وضعها جانبا. هذا لا يعني ان الناس قد أُحضروا الى الاعتراف الصحيح بالاله وبحالتهم امامه، لكنها تبيّن كيف كانوا مخطئين، وكيف ان «اناس غير متعلّمين وبسطاء» كانوا على صواب في اعتبارهم الموقّر لـ «كلمة الحق».

عند مواصلة هذه التأملات، لتكن الفكرة هذه عن صدق اساسها التأريخي حاضرة في خلفية الذهن على الدوام، وعندها ستكون التغذية التي يستمدّها القلب ثرية وزاخرة لو كان هناك حقاً اتكال متواصل وغير منحاز على الروح القدس.

نمط من شعب الاله

١٠٢ ولادتهم

ليتم الأخذ بنظر الاعتبار سرد الاحداث أوّلاً، ومن ثم، في حس مجازي، التاريخ الروحي لاحد اولاد الاله. في البدء، بالنسبة لولادته. كان ابن صلاة وكرب الذات — الابن البكر لراحيل الحبيبة، التي امسك الرب عنها هذه البركة لفترة طويلة. في صراع للذهن، وبدون تفكير، صرخت الى زوجها، «هَبْ لِي بَنِينَ، وَإِلاَّ فَأَنَا أَمُوتُ!» (تكوين ٣٠: ١). من المناسب كان التذكير الموبّخ بأن الاله هو **الواهب الوحيد** لكل الحياة. لكن الاله افتقدها. ونزع عنها عارها بمنحها يوسف، وبنفس الوقت اعطاها عهدا سرّيا بانه سوف يزيد عليه* ابنا اخرا.

أفليس كل شخص مولود ولادة ثانية هو ثمرة مخاض ومشقّة؟ أولاً، عن الام وجهاد الرب يسوع المسيح الذي لا يمكن وصفه على صليب العار. «مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ» (اشعياء ٥٣: ١١). «يَرَى نَسْلاً»، نسلا، «يُخْبَرُ عَنِ الرَّبِّ الْجِيلُ الآتِي» (مزمور ٢٢: ٣٠). انها فكرة جليلة بان هؤلاء الذين لديهم حياة من فوق قد حصلوا عليها فقط بسبب عمل **مخلّصهم المتألّم، الذي**، بفوق اعمق جداً من ذلك الذي كان عند راحيل، وبعلم مسبق لم تمتلكه، اشتاق لان يقتني لنفسه عائلة مفدية من حوله.

هناك ايضا معنى ثانوي كيف ان النفس المخلّصة هي ابن ناتج عن تمخّض. قال بولس «يَا أَوْلاَدِي»،

---

*بالعبرية يوسف يعني «يزيد»، لذا كان ذلك العهد باخر

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

«الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضًا إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ» (غلاطية ٤: ١٩). كلمات مثل هذه تشير الى شدّة الصلاة لاجل خلاص الانسان. «إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِي وَطِلِبَتِي...هِيَ لِلْخَلاَصِ» (رومية ١٠: ١). الاخلاص الشديد هو ما ميّز كل تعليمه، تحذيره، وانذاره. «أَخْدِمُ الرَّبَّ بِكُلِّ تَوَاضُعٍ وَدُمُوعٍ كَثِيرَةٍ» (اعمال ٢٠: ١٩) ليس عجباً ان الاله أستخدم هكذا شخص لاحضار مختاريه الى معرفة ومحبة المخلّص.

ربّما يذكر احدهم معاناة ديفد برينارد — مستغرقا ساعات في التماس تضرّع محتدم من اجل هنوده الحمر — مُخلفاً بعد مغادرته الى المسيح جمعا كبيرا من النفوس لاسم الرب يسوع المسيح.

نعم، كل شخص مُخلّص هو ثمر لالام المسيح، وغالبا ما يكون في خط تجربة مع صراخ قلب صديق او قريب. لكن الاله ضابط الكل. كل الحياة هي منه. مع ذلك كم ينبغي ان يكون المؤمن شديد الاهتمام باولئك الذين في تماس يومي معهم، خصوصا اولئك الذين من اهل بيته. «اعطني نفوسا» سيكون دائما صراخ القلب الذي لديه حس مُتمرن لحقيقة السماء والجحيم، ولقيمة النفس البشرية.

٢٠٢ طاعتهم ومعاناتهم

يوسف لم يكن استجابة للتضرعات المتألمة من قبل امه فحسب، بل كان ابن أول وافضل حبيبة. بهذا المعنى كان «الابن البكر». المؤمنون هم هكذا بسبب المحبة الازلية — محبّة الآب للابن — وبسبب البكر — العهد الازلي. الكنيسة، تأريخيا، تعقب الحكومة الدينية لاسرائيل، لكنّها الاولى في قصد الاله في المحبة. العهد الجديد هو اقدم من العهد القديم، لانه تأسس في المحبّة، محبّة الآب **للذي هو** «بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ» (رومية ٨: ٢٩).

امتاز يوسف بالطاعة الفورية لارادة ووصايا ابيه، ومع انها أدت الى معاناة شديدة، الاّ انه لم يكن يعرف ما كان ينتظره خلال الثلاث عشرة سنة التي عقبت آخر رؤية لوجه ابيه الحبيب، عندما أُرسل للبحث عن أخوته. كل الأشياء كانت تعمل معاً للخير، لكنها لم تبدو هكذا له. لم يحن الوقت بعد عندما استطاع ان يقول «لَيْسَ أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمُونِي إِلَى هُنَا بَلِ الإِلهُ» (تكوين ٤٥: ٨). لكنه كيف تصرّف خلال تلك السنين المؤلمة من رفضه، وعبوديته، واتهامه الباطل، وسجنه الغير عادل، ونسيانه حتى من قبل اولئك الذين كان بركة لهم؟ بدون كلمة حقد او غضب، بدون وجه ساخط، بدون شكوى، دون ان يرفض لعمل افضل ما بوسعه تحت ظروف مُمتحنة. شخصيته كانت جذّابه

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

لدرجة انه نال احترام كل اولئك الذين القي في دائرتهم. كانت لسيّده ثقة كامله به، ناظرا ان «الرَّبَّ مَعَهُ» (تكوين ٣٩: ٣). حتى في السجن، كان مُؤتَمَناً على رعاية الاخرين، وعلى كل ما كان يتم صنعه هناك، «كَانَ هُوَ الْعَامِلَ» (تكوين ٣٩: ٢٢)، عمل كل شي بشكل حسن، ومكافأته كانت ضمير مطمئن، ومن قال انه لم يكن لديه توقع ورع بان يد الاله كانت تعمل لاجله؟

عزيزي القارئ، ألا تدعونا شخصية هذا الشاب الرائعة الى الشعور بالخجل؟ تذكّر، بان مصداقيته، وطهارته، وشركته واتقائه للاله، كان ما يثير استياء اخوته والاخرين.

وهذا هو الحال في كل وقت لطالما «هذا الجيل الحالي الشرير» مستمر. الصلاح، الذي هو اظهار لعمل الروح القدس، ونتيجة النعمة، قد يحُترم في الغالب لكنه ليس مرغوباً في الواقع من قبل الانسان الطبيعي. حياة يوسف كانت توبيخ مستمر لحياة اخوته الشريرة. كانوا له كما كان قائين لهابيل. كانت «اعمالهم شريرة»، واعمال «أخيهم بارّة».

«لاَ تَتَعَجَّبُوا يَا إِخْوَتِي إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ» (١ يوحنا ٣: ١٣). والان، مامقدار تفضيل حياة يوسف من المعاناة على الحياة المريحة والهادئة لبعض المؤمنين! حسنا نفعل عندما نتذكر ذلك، «إِنْ كُنَّا نَصْبِرُ فَسَنَمْلِكُ أَيْضًا مَعَهُ» (٢ تيموثاوس ٢: ١٢)، «بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ» (اعمال ١٤: ٢٢) وصل خادم الاله الى مكان السلطة والحكم. هو لم يسع الى ذلك، بل اصبحت مكافأة له بسبب امانته في الاشياء الأقل. قد قضى فترة تدريبه في ورشة المعاناة بأمانة، وخرج من فترة غيابه متدّربا بشكل كامل ومستعدا بشكل جيد للمنصب العظيم الذي صمّمه التدبير الالهي له.

دروس عمليه اخرى سيتم تعلّمها، بشكل عرضي، حيث ان حياة واختبار يوسف يعتبران كظل للرب يسوع المسيح، لكن دعونا لا نفوت علينا ما سبق. سواء أكان يُعتقد بأن يوسف كان مثالاً على نفس تم ربحها بالمعاناة، او ثمر محبة غنية، او شخص مطيع حتى المعاناة، مكروه من قبل العالم، واعتلى المجد من خلال سلّم المعاناة، ليمتحن كل قارئ قلبه في محاولة للسير على خطى قدّيس الايام الاولى هذا. دعونا «نَفْعَلَ كُلَّ شَيْءٍ بِلاَ دَمْدَمَةٍ وَلاَ مُجَادَلَةٍ» (فيلبي ٢: ١٤). دعونا نكون «بِلاَ لَوْمٍ، وَبُسَطَاءَ، أَوْلاَدًا للإله بِلاَ عَيْبٍ فِي وَسَطِ جِيلٍ مُعَوَّجٍ وَمُلْتَوٍ»، «كَأَنْوَارٍ فِي الْعَالَمِ» (فيلبي ٢: ١٥)، «لأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ الإله، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ» (رومية ٨: ٢٨).

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

نمط من المسيح

يوسف كقديس نموذجي كان موضوعا لتأمل قصير. هدفنا الان هو ان نتعلّم ما هي الأوجه المتعلقة بتجربته والتي تذر بظل للرب يسوع المسيح.

١٠٣ ولادته

اولاً، كان هناك تدخّل الهي فيما يخص ولادته، كما وان عنصراً اعجوبياً كان هناك، حيث «ذَكَرَ الإِلهُ رَاحِيلَ، وَسَمِعَ لَهَا الإِلهُ» (تكوين ٣٠: ٢٢)، «وَدَعَتِ اسْمَهُ (يُوسُفَ) قَائِلَةً: ‹يَزِيدُنِي الرَّبُّ ابْناً آخَرَ›» (اية ٢٤). هنا ملاح خافته منه، **الذي** كان «نسل المرأة» والذي كان مجيئه الى العالم بهدف ان «يَأْتِيَ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ» (عبرانيين ٢: ١٠)، «لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ» (رومية ٨: ٢٩). كانت ليوسف مَحَبّة خاصّة من قبل أبيه. بالرغم من صغر سنه الاّ انّه كان تعزية كبيرة ليعقوب بسبب طرقه الصالحة. مع انه لم يكن الابن البكر من الناحية العمرية، الاّ انه كان الابن البكر من الناحية العاطفية، لانه كان ابن الحب الاول ليعقوب. كل هذا يذكّر **بالواحد الذي** هو محبوب من قبل **أبيه** قبل ان يكون العالم، محبوباً بسبب العلاقه، ومحبوباً بسبب الطاعة.

المحبوب كان، على اية حال، مكروها من قبل اولئك الذين كان ينبغي ان يظهروا المحبة الاخوية له؛ بل الذين «لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُكَلِّمُوهُ بِسَلاَمٍ» (تكوين ٣٧: ٤). كراهية وعداوة مُحزنه كانت تغمر قلوبهم، وأخيراً باعوا اخيهم بعيدا عن ابصارهم. هذا الرفض، حقيقته، حادثته، واسلوبه، كله يبّين تجربة المسيح، الذي «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ» (يوحنا ١: ١١).

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

٢.٣ حقيقة رفضه

كانت المحبّة المتميّزة لابيه الذي صنع له «قَمِيصًا مُلَوَّنًا» (تكوين ٣٧: ٣)، قد أثارت الضغينه والاحقاد عند اخوته. الشعورايضا بأن راحيل كانت تحظى بمعزة اكثر عند يعقوب من امهاتهم، بلاشك، كان قد سكب الزيت على النار فأثارت سخطاً في قلوبهم. بالاضافة الى ان حياتهم الخاصة كانت قد امتازت بالانحلال الاخلاقي، عبادة الاصنام و حياة شريرة في العموم، والتي كانت على نقيض بارز مع طهارة وقداسة الغلام ابن السبعة عشر ربيعا.

هل كان لديهم اي اهتمام بالوعد الذي قُطع مع الآباء؟ يبدو ان كل تلك الافكار كانت قد تلاشت من اذهانهم. هل من الممكن، بعدئذ، ان يعقوب كانت لديه امال بيوسف، بطريقة ما، كونه الوسيلة لارجاع اهتمام اخوته الفجّار بقصد الاله — وعده — الى التوبة والشعور بمسؤوليتهم تجاهه، بعبارة اخرى، لاحداث نهضة في الايمان بالاله؟ ان استخدامه من قبل الاله لاجل هذا الشيء عينه يبدو جليا من خلال تاريخه اللاحق، لكن قلّما تم الاعتقاد بان هكذا نهضة كانت ستحدث فقط من خلال معاناة كثيرة من جهة ابنه الحبيب.

يوسف كان محبوبا لاجل راحيل، ولاجل نفسه، ولاجل اخوته. مع ذلك، فان حب الأب هذا لم يتم استقباله الاّ بالكراهية من جهة ابنائه الاخرين. مع ذلك فان المحبة هذه قد ادركت الاخوة في النهاية من خلال الشخص المرفوض.

نادراً مايلزم لفت الانتباه الى الاهمية المجازية لكل هذا. بالتأكيد، فان القلب الدارس بالنعمة سوف يميّزه، الذي دعاه الآب «ابْنِي الْحَبِيبُ» (متى ٣: ١٧)، الذي شهادته عن نفسه هي «اَلآبُ يُحِبُّ الابْنَ» (يوحنا ٣: ٣٥) وايضا «لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ» (يوحنا ١٧: ٢٤). هو «ابن محبته» والمؤمنين الذين «صار عندهم حظوة لديه في المحبوب»، في مثال (لوقا ٢٠: ١٣) توجد هذه الكلمات «مَاذَا أَفْعَلُ؟ أُرْسِلُ ابْنِي الْحَبِيبَ، لَعَلَّهُمْ إِذَا رَأَوْهُ يَهَابُونَ!» ليس من الصحيح القول بان الرب لم يشير قط الى انه ابن الآب. اليهود علموا انه قال هذا، واكثر من ذلك، كانوا مدركين جيدا لمعاني هكذا اعلان، «كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ...قَالَ أَيْضًا إِنَّ الإِلهَ أَبُوهُ، مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِالإِلهِ» (يوحنا ٥: ١٨). كما يوسف فان الرب يسوع المسيح كان مكروها بلا سبب.

ثانيا، طهارة حياة اخيهم كانت على النقيض من حياتهم. لم يستطع يوسف الاّ أن «يَأْتِيَ بِنَمِيمَتِهِمِ الرَّدِيئَةِ إِلَى أَبِيهِمْ» (تكوين ٣٧: ٢). لقد تمت الاشارة مسبقا الى انحلالهم المحزن. لكن هل كان يعقوب بلا لوم تماماً في القضية؟ ابراهيم كان مهتماً جداً بعدم عودة ابنه الى ارض ابيه.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

كان على رفقة، زوجة اسحق، اتّباع مثال حميها، لكن يبدو انه لم يكن يهمها اختلاط ابنها بهؤلاء الأقارب. وأي خداع ومكر تم ممارستهما في تلك الارض! نعم، عبادة الاوثان كانت ما تزال موجودة بين عائلة يعقوب (تكوين ٣٥: ٢)، حتى عند قرابة رجوعهم الى بيت ايل. لقد امتاز كل من راوبين، وشمعون، ولاوي، ويهوذا بخطاياهم، لكن بسبب هيمنة النعمة، لم يكن هؤلاء الرجال لينجبوا الأمّة، التي باركها الرب، بعدها بقرون، بشكل لافت للنظر. يالها من خلفية مظلمة تلك التي اعطوها مقارنة بشخصية يوسف المطيعة و حياته الرائعة! لا عجب في انهم لم يقدروا ان يحتملوه في وسطهم.

الان، أليس الرب يسوع من نراه هنا مجدّدا؟ استمع الى كلماته الخاصّة، «هذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّآتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ» (يوحنا ٣: ١٩، ٢٠). ان برّ الرب يسوع المسيح كان تبكيتاً مستمرا في ضمائر اسرائيل بانه كان الحق، لكنهم «أَحَبُّوا مَجْدَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْدِ الإِلهِ» (يوحنا ١٢: ٤٣). هذه الحالة المحزنة للقلب قادت الى رفضهم التام للمسيا. «هذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ» (لوقا ٢٠: ١٤).

ثالثا، اخوة يوسف «ازْدَادُوا أَيْضًا بُغْضًا لَهُ مِنْ أَجْلِ أَحْلاَمِهِ وَمِنْ أَجْلِ كَلاَمِهِ» (تكوين ٣٧: ٨). من خلال احلامه، كان لديه اعلان عن تمجيده في المستقبل وعن اذلالهم. لذلك تنبأ وشهد، وكلا الجزئين من شهادته كانا موضع اشمئزاز بالنسبة لهم. بعد ذلك، سخروا «فَنَرَى مَاذَا تَكُونُ أَحْلاَمُهُ» (اية ٢٠)، أمّا أبوه «حَفِظَ الأَمْرَ» (اية ١١) على اية حال.

ليس عسيراً ان نرى نظيرا متوازيا في تجربة ربّنا الارضية. كان نبيّا، وتكلّم عن تمجيد نفسه وعن دينونة الخطاة الذين لا يؤمنون به. رجع كثيرون الى الوراء ولم يعودوا يمشون معه بسبب تعليمه الصادق. بما انهم رفضوا شهادته الصريحة، فقد تكلّم بامثال (انظر يوحنا ٨: ٤٠، ٤٣، ٤٥). في وقت تجربته، سُئل «أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟ فَقَالَ يَسُوعُ: ‹أَنَا هُوَ. وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا فِي سَحَابِ السَّمَاءِ›» (مرقس ١٤: ٦١، ٦٢)، «فَالْجَمِيعُ حَكَمُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ» (اية ٦٤).

لذا فأنّ **حقيقة الرفض** تشتمل على كونه كان مُبغضاً، بسبب علاقته مع الآب، بسبب انعزال حياته، بسبب خدمته النبوية، كل ذلك كان قد أُنذر به من خلال حياة وتجربة يوسف.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

٣.٣ حادثة الرفض

لقد أُرسل يوسف ليتفقّد اخوته. لم يكن لدى ابيه أي قلق، بشكل واضح، من ناحية ايداع ابنه في وسطهم. كانوا رعاة، ويعقوب، كراعي غنم أمين، كان لديه اهتماما حقيقياً بالقطيع. «فَأُرْسِلَكَ إِلَيْهِمْ» (تكوين ٣٧: ١٣)، وكان جواب يوسف: «هأَنَذَا». كم تشبه كلمة ابن الاله «هنَذَا أَجِيءُ...لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَاإِلهِ» (عبرانيين ١٠: ٩)، ومرّة اخرى «فَإِذْ كَانَ لَهُ أَيْضًا ابْنٌ وَاحِدٌ حَبِيبٌ إِلَيْهِ، أَرْسَلَهُ أَيْضًا إِلَيْهِمْ أَخِيرًا، قَائِلاً: إِنَّهُمْ يَهَابُونَ ابْنِي!» (مرقس ١٢: ٦).
«اذْهَبِ انْظُرْ سَلاَمَةَ إِخْوَتِكَ وَسَلاَمَةَ الْغَنَمِ وَرُدَّ لِي خَبَرًا» (تكوين ٣٧: ١٤، في الاصل). «فَأَرْسَلَهُ مِنْ وَادِي حَبْرُونَ». الآن، حبرون تعني «شركة». ان ربّنا جاء من نفس حضن الآب، بهدف البحث عن خراف بيت اسرائيل الضالّة. هل وجدهم في سلام؟ بل، اما كانوا منقسمين فيما بينهم؟ لكنّهم كانوا متوّحدين في حربهم عليه بالاقوال والافعال. مالذي كان سيقوله عنهم عندما رجع الى الاب؟ أي نوع رعاة كان سيجدهم لرعاية قطيع اسرائيل؟ كتبة، فريسيين، مرائين، اناس يشبعون انفسهم وليس القطيع، اناس كانوا يغشون حق الاله بتقليدهم. نعم، في وسط هؤلاء ارسل الاله ابنه. كلا من الاب والابن علما ما في قلوبهم وماخططوا له، وان «ساعتهم ستأتي وسلطان الظلمة» (لوقا ٢٢: ٥٣). لم يستطع يعقوب ان يتنبأ بآلام يوسف، والاّ ما كان سيرسله خارجاً. لكن الرب يسوع كان الحمل المعيّن قبل تأسيس العالم، والاله في «مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ الإِله ابْنَهُ» (غلاطية ٤: ٤).
لاحظ، أيضا، كيف أطاع يوسف أباه تماما. واصل السير اميال كثيرة اخرى الى دوثان عندما لم يعثر على القطيع في شكيم. «أَنَا طَالِبٌ إِخْوَتِي» (تكوين ٣٧: ١٧) هي كلمات رائعة، عندما تطبّق على الذي هو اعظم من يوسف! الذي بحث فوجد. وعمل الاحسان هذا — عمل الطاعة لابيه — كان السبب الذي انتهزه الاخوة للتخلّص من الشخص الغير مرغوب به.
بحق، هنا مرة اخرى، «نرى يسوع»، الذي جاء لعمل مشيئة أبيه، وحقق بالكامل القصد الذي أُرسل من اجله.
من بعيد رأوه اخوة يوسف، وتآمروا عليه ليقتلوه، بسبب كراهية شديدة احتدمت في قلوبهم. رفضوه بعد ذلك، ولو انهم كانوا يرفضونه بالفكر دوماً. لكن يا اعزائي، عندما تكشف صفحة الكتاب المقدس عن قلوب البشر الشريرة، سواء من ناحية معاملتهم ليوسف او كرههم للمسيح،

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

دعونا نتذكر «أَنَّنَا كُنَّا نَحْنُ أَيْضًا قَبْلاً أَغْبِيَاءَ، غَيْرَ طَائِعِينَ، ضَالِّينَ، مُسْتَعْبَدِينَ لِشَهَوَاتٍ وَلَذَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، عَائِشِينَ فِي الْخُبْثِ وَالْحَسَدِ، مَمْقُوتِينَ، مُبْغِضِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا» (تيطس ٣: ٣).
«هكَذَا أَحَبَّ الإِلهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ» (يوحنا ٣: ١٦). الاناجيل تبيّن كيف استجاب الانسان على نحو شرير، وكيف ان لطف الاله انّما أمدّه بالفرصة لكي يرفض **ابن محبته**.

٤.٣ اسلوب الرفض

كان هذا انما تتويجاً لموقف الاخوة باكمله تجاه يوسف. «لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُكَلِّمُوهُ بِسَلاَمٍ» (تكوين ٣٧: ٤). ثلاث مرات قد قيل «أَبْغَضُوهُ»، ومرّة، «حَسَدَهُ إِخْوَتُهُ». لقد سخروا منه، وازدروا باحلامه. لقد حكموا عليه بالموت في قلوبهم. استمالوا اباهم ليصدّق ان ابنه قد مات. راوبين أراد حقاً ان يخلّص اخيه، لكنّه مُنع من ذلك، وألم يكن ذلك في قصد الاله أن يوسف كان عليه ان يتألم؟ لاحظ الآن التفاصيل العديدة لتجربة يوسف المؤلمة، ولاحظ كيف انها تتنبأ بآلام المسيح. أولا، انه قد بيع بعشرين قطعة من الفضة. كان ثمن ربّنا، بحسب تقدير اسرائيل، هو ثلاثون قطعة من الفضة. «جَلَسُوا لِيَأْكُلُوا طَعَامًا» (تكوين ٣٧: ٢٥)، بينما يوسف كان في البئر غير قادر على الهروب. عندما كان الرب على الصليب، فقد قيل لنا، «جَلَسُوا يَحْرُسُونَهُ هُنَاكَ» (متى ٢٧: ٣٦). أنه نفس التصرّف القاسي الذي ميّز رافضي المسيح وميّز ايضا اخوة يوسف. كلاهما كان ساخراً، وكلاهما فكّر ليتخلص من الذي كانت حياته توبيخا لحياتهم.
لقد تم تصوير يوسف على انه ميت من خلال القميص الثمين الملوّث بالدم، واعتقد الاب انه لن يراه ثانية. «افْتَرَسَ يُوسُفَ افْتِرَاسًا» (تكوين ٣٧: ٣٣). لقد تبدّدت كل آماله التي كانت متمركزة حول ابنه. بايدي شريرة، وبشتى المظاهر، قد تم ذبحه. من كان باستطاعته ان يمنع التدهور المستمر في عائلته؟ كم كان هذا اليأس يصوّر بشكل خافت ما تملّك قلوب تلاميذ الرب بعد صلبه! «وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ» (لوقا ٢٤: ٢١).
بمعرفة النهاية الكريمة، كما هو معلوم لدينا، لانجاز ما قد عيّنته تلك التجارب المؤلمة، لكلا من يوسف، الرمز، والمرموز اليه المُمَجّد، نحن ملزمين بالاعجاب بحكمة وقدرة ومحبة الاله.
ان الالام المعيّنة من قبل الاله المحب والحكيم ينبغي ان تنتهي بالمجد. حتى الآن كنا نفكّر فقط بمِحْنة يوسف. تمجيده كان ايضا قد عُيّن مسبقا. لقد تعلّمنا شيئاً عن معاناة المسيح، وعن تمجيده، لكن

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

لديه مجد سيستعلن بعد. لعلّ أعيننا تتطلع اليه منتظرين ذلك الاعلان!

ندم و أسى

«وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ الإِلهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ» (رومية ٨: ٢٨).

لا يوجد تصوير اوضح لهذه الكلمات الموحى بها كما هو في تاريخ يوسف. «صَارَ كُلُّ هذَا عَلَيَّ» (تكوين ٤٢: ٣٦) قال هذا يعقوب في حزنه القاهر، لكن كم كان حكمه هذا بعيداً عن الحق! انه من السهل علينا ان نتأثّر على نحو خاطئ بحسب ما تبدو عليه الامور، لكن هذا ما لا يجب ان يكون عليه سلوك اي مؤمن. يجب ان تكون نظرته كما جاء في الكلمات، «وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى» (١ كورنثوس ٤: ١٨)، متذكّرين كلمات الرب يسوع، «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ» (يوحنا ١٣: ٧).

نعود لنواصل تأملنا، قد شاهدنا رفض الاخوة ليوسف، وكانوا سينظرون اليه، مجازياً، وهو يمر بـ «الموت». مكتوب، «كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ» (١ يوحنا ٣: ١٥) وقد وجدت نيتهم **بالقتل** مكانة في قلوبهم الشريرة قبل مجيء الفرصة عينها لفعل ذلك. اضافة الى ذلك، وبناء على اقتراح راوبين، القوا يوسف في البئر، وكان ربما سيموت نتيجة التعرّض للخطر او الجوع. لقد بيّن بكاء راوبين المرير، عند رجوعه وعثوره على البئر فارغا، على اعتقاده بان اخاه قد مات، «الْوَلَدُ لَيْسَ مَوْجُودًا، وَأَنَا إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟» (تكوين ٣٧: ٣٠). كان راغباً في ارجاع الولد الى ابيه، لكن نواياه الجيدة لا يمكنها ان تصمد امام خطة الاله لخادمه. وهكذا أيضا كلمات بطرس عندما أخبره الرب عن رفضه وموته المقدمين — «اشفق على نفسك، يارب، هذا لا ينبغي ان يحصل لك» — لم تقدر ان تعيق — كما اراد الشيطان — **المخلّص** من السير قُدُماً نحو الصليب، واتمام العمل الذي اعطاه اياه ابوه لينجزه. واخيراً، كان لدى يعقوب نفسه ذلك الانطباع. بكل قساوة قلب، أحضر الاولاد القميص الملوّث بالدم الى ابيهم، «وَجَدْنَا هذَا. حَقِّقْ أَقَمِيصُ ابْنِكَ هُوَ أَمْ لاَ؟» فَتَحَقَّقَهُ وَقَالَ: «قَمِيصُ ابْنِي! وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ، افْتُرِسَ يُوسُفُ افْتِرَاسًا»...أَبَى أَنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ: «إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي نَائِحًا إِلَى الْهَاوِيَةِ». وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوهُ» (تكوين ٣٧: ٣٢-٣٥).

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

يأس

كما كان يعقوب واثقا بشأن «نهاية» ابنه، وكم كان يائسا! لانه من يوجد الان لاصلاح الفشل في عائلته، ليقود الاخوة ثانية الى مخافة الاله واعتبار قصد الرب بشكل صائب من جهتهم؟ الم تكن حاله الذهن هذه في توازٍ قرون من الزمان بعدها، عندما أُسلم الرب يسوع وصُلب «وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ. وَلكِنْ، مَعَ هذَا كُلِّهِ، الْيَوْمَ لَهُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ حَدَثَ ذلِكَ» (لوقا ٢٤: ٢١). بسرعة جداً، مع ذلك، تحوّل يأسهم الى فرح، وبعد سبعة اسابيع، متأيدين بقوة الروح القدس، كرز تلاميذه بجهارة وفرح عن المسيح مُقاما وحيّا.

موت المسيح

بالنسبة لليهود، على اية حال، كان المسيح ميتاً. حقاً، القبر أحتوى جسده، وقد مرّت روحه بشيئول (او هادس). لكن بالرغم من برهان الحراس على قبره، فان قادة اسرائيل تسببّوا في اشاعة ان تلاميذه قد سرقوا جسد الرب بينما هم نيّام. يعتبر اليهود اليوم المسيح ميتاً، لكن سيأتي يوم حين «يَنْظُرُونَ إِلَى الَّذِي طَعَنُوهُ» (يوحنا ١٩: ٣٧).

لقد اعتقل الرب وجعل اسيرا بايدي شريرة. كان اطلاق اسره قد عُرض على اسرائيل ورُفض. كان أسيرهم لانها كانت «سَاعَتُهُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ» (لوقا ٢٢: ٥٣).

ثم ادرك الموت حياته، ولفترة وجيزة امسكه في قبضته. لكن كان ينبغي ان تتحقق اقوال الكتاب المقدّس «لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا» (مزمور ١٦: ١٠). «الَّذِي أَقَامَهُ الإِلهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ» (اعمال ٢: ٢٤).

يوجد بعد اعتبار مجازي اخر كان قد أمسك الرب. «وَلِي صِبْغَةٌ* أَصْطَبِغُهَا، وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى

---

*في الاصل «معمودية»

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

تُكَمَّلَ؟» (لوقا ١٢: ٥٠). في اطار المحدودية الطوعية للجسم البشري، تاق الى يوم التحرير، الذي، على اية حال، لم يكن بالامكان مجيئه الاّ بعد معمودية الالام. مخلّصنا الرائع، باية قلوب شاكرة ومتعبّدة ينبغي ان نخفي امامك، اذ احتملت كل هذا من أجل مختاريك، وانت حي الى الابد، تتطلّع الى يوم الحرية المطلقة لاحبائك الفديين، «مُنْتَظِراً بَعْدَ ذلِكَ!» (عبرانيين ١٠: ١٣).

غياب سنين كثيرة

عشرون سنة قد مضت قبيل مشاهدة يوسف من قبل اخوته. قرابة الفين سنة قد مضت منذ موت وقيامة الرب يسوع، ومازال مجهولاً عند اسرائيل.

ان موت ربّنا كان مسبوقا ومصحوبا بـ «ضيق». وان «موت» يوسف الرمزي قد عقبته فترة ١٣ سنة من العبودية. «فِي الْحَدِيدِ دَخَلَتْ نَفْسُهُ» (مزمور ١٠٥: ١٨). بالرغم من انه كان عبداً، الاّ انه خدم باخلاص، لان، «الرَّبَّ مَعَهُ» (تكوين ٣٩: ٣). كان هناك شيء ما في هذا الشاب العبراني ميّزه عن كل الاخرين. هكذا، الرب يسوع — ليس عبداً لانسان قط — كعبد للاله، «الَّذِي جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا...لأَنَّ الإِلهَ كَانَ مَعَهُ» (اعمال ١٠: ٣٨) كان متميزا عن كل من حوله كما يمتاز النور عن الظلمة. «قُدُّوسٌ بِلاَ شَرٍّ وَلاَ دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ» (عبرانيين ٧: ٢٦).

لقد دفع فوطيفار كل شيء الى يدي يوسف. الاله دفع الكل الى يدي ابنه.

اغواء

في هذا الوقت، كانت تجربة أليمة في حياة يوسف قد اكتسبت أهمية عظيمة. كان جميل الهيأة، في الشكل والملامح، وبسبب هذا، اصبح هدفا للشهوة من جهة من سيكون مغوياً. لقد هوجم باغواء مستمر وجذّاب، لكن نفسه قد ثارت بكاملها ضد فكرة الاستسلام عينها. «كَيْفَ (أقدر أن) أَصْنَعُ هذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى الإِلهِ؟» (تكوين ٣٩: ٩). لقد قاوم، والشخص المغو قد تم

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

صدّه، لقد تحقق الانتصار، لكن على حساب سمعته التي كانت بلا شائبة الى حد ذلك الوقت. أضيف حزن اخر الى كل احزانه الان بسبب التهمة الباطلة. حب في السابق (جسديا كما كان) تحوّل الى كراهية. الكذبة تم تصديقها والقي يوسف في السجن. عومل بسوء من قبل اخوته، والان يُعامل بسوء من قبل العالم.

هنا نذير بالتجارب التي كابدها الرب يسوع. كان لحياته جمالاً اخلاقياً — كون ذلك موافقا له ليصبح **القربان والذبيح الحقيقي** — لدرجة ان ابليس تاق الى تشويه طاعة ابن الاله. مجمل تجربته كانت بالغة المكر، ولديها هدف واحد هو اغواء الرب عن المسار البسيط في الاتكال المفعم بالثقة. مستعرضا له كل ممالك العالم ومجدها، المغويعد، «فَإِنْ سَجَدْتَ أَمَامِي يَكُونُ لَكَ الْجَمِيعُ» (لوقا ٤: ٧). «مرة واحدة فقط» — هذا كل ما اراده. «مرة واحدة فقط» — وكان يوسف قد سقط...لا تكمل الجملة. اوه المأساة تنتج، في حالات لاتعد، من السقوط «مرة واحدة فقط». مرة اخرى لتعظّم **الفادي** المبارك من اجل خلاصه الرائع. الشيطان انصرف عنه لموسم، لكنه عاد ليهاجم، بالاخص في حديقة جَثْسَيْماني. هو من اوحى شهود الزور، هو من دخل الى يهوذا الاسخريوطي. **واحد فقط** قدر ان يقول «رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ» (يوحنا ١٤: ٣٠).

العداء ضد المسيح كان معروفاً لديه بالعلم المُسبق. «أَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ» (تكوين ٣: ١٥). لكن يوسف لم يقدر ان يتكهّن بما كان ينتظره من رفض ومعاناة. كلاً من الرب يسوع ويوسف كان لديه اختبارا محزنا لتحوّل العالم المفاجئ من حب ظاهري الى كراهية مريرة.

لقد استخدم ابليس زوجة فوطيفار في محاولة لتلويث شخصية يوسف الطاهرة ولازال يستخدم العالم محاولاً افساد شخصية الكنيسة «العذراء». المقاومة من جهة القديسين من خلا تذكر الكلمات، «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ، فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا للإِلهِ» (يعقوب ٤: ٤)، سوف تقود الى كراهية من قبل العالم. لكن المسيح قال، «ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ» (يوحنا ١٦: ٣٣).

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

الصبر عند المعاناة

المجد — ذلك المجد يُمنح الى المفديين بنعمة الاله — يعقب المعاناة. الرب يسوع في هذا هو اعظم مثال. استمع الى شهادته عن نفسه، «أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟» (لوقا ٢٤: ٢٦). «هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ» (لوقا ٢٤: ٤٦). الروح القدس في الانبياء، «شَهِدَ بِالآلاَمِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ، وَالأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا» (١ بطرس ١: ١١). قد لا يُعطى الى مختاري الاله مسبقا ان يعرفوا ما هي معاناتهم ربما. كل ما يعرفونه عن ذلك انه سيكون لديهم حصة من ذلك. لقد اظهر لخادم الرب بولس، في بداية حياته المسيحية، من قبل الرب يسوع، «كَمْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي» (اعمال ٩: ١٦). لكن يوسف لم يكن لديه سابق انذار بالتجارب الأليمة التي بسط من خلالها مساره المعين من قبل الرب. احلامه كانت تعنى بتمجيده، ولم يُكشف لنا كيف كان لتذكّر هذه تشجيعا له في احلك ساعاته.

الان هو مطروح في السجن، حاملا عار تهمته الدنيئة. مع ذلك على ما يبدو لم يظهر شخصية متجهّمة او غاضبة قط. بل، نال احترام كل الذين قد القي في دائرتهم. كانت لسيّده ثقة كامله به، ناظرا ان «الرَّبَّ مَعَهُ» (تكوين ٣٩: ٣). هكذا كان الامر في السجن. كل ما كان يتم عمله هناك «كَانَ هُوَ الْعَامِلَ» (تكوين ٣٩: ٢٢)، عمل كل شي على احسن وجه، ومكافأته كانت ضمير مطمئن، وتوقّع ورع بان يد الاله تعمل لاجله. الهه والهنا، الذي كان له رمزا، كان «إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ» (١ بطرس ٢: ٢٣). نال كل الاشياء بالصبر.

وبينما كان يوسف في السجن، وقعت حادثة، كاخريات في تجربة الخادم، والتي كان لها نظيرا الهياً عندما كان الرب في ايدي الناس الشريرة، حينما كان على الصليب. لقد أُحظر سجينان بارزان، هما ساقي الملك والخبّاز، الى السجن وتم تسليمهما الى عناية يوسف. سرعان ما صار العبد العبراني نبيّا لمصيرهما. «لِمَاذَا وَجْهَاكُمَا مُكْفَهِرَّانِ الْيَوْمَ؟» (تكوين ٤٠: ٧). بهكذا تساؤل رحيم ومؤدب جعل الاثنان يفضيان له بالاحلام التي ازعجتهما. مكّن الرب يوسف من ان يفسّرها، وبكلمات رئيس

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

السقاة لاحقا، «رَدَّنِي أَنَا إِلَى مَقَامِي، وَأَمَّا هُوَ فَعَلَّقَهُ» (تكوين ٤١: ١٣). جليل هو ان تكون حكماً هكذا بين الناس!«لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ للإِلهِ، فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وَفِي الَّذِينَ يَهْلِكُونَ. لِهؤُلاَءِ رَائِحَةُ مَوْتٍ لِمَوْتٍ، وَلأُولئِكَ رَائِحَةُ حَيَاةٍ لِحَيَاةٍ. وَمَنْ هُوَ كُفْوٌ لِهذِهِ الأُمُورِ؟» (٢ كورنثوس ٢: ١٥، ١٦).

في الجلجثة، «صَلَبُوهُ، وَصَلَبُوا اثْنَيْنِ آخَرَيْنِ مَعَهُ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا، وَيَسُوعُ فِي الْوَسْطِ» (يوحنا ١٩: ١٨). «الاثنان الآخران» — لصّان سخرا منه وجدّفا عليه، لكن واحد منهما قد أُحضر للتوبة والايمان **بالمصاب القدّوس**، ووعد ثمين من عند **المخلّص** المحتضر كان قد اعطاه التعزية في ساعاته الاخيرة. لكن ماذا عن الاخر؟ لا يوجد ذكر لاي تغيير في القلب والسلوك، مع ان رفيقه السابق في الخطيئة كان قد وبّخه على شرّه.

لذا في ساعة «أسره» أُظهرت الوهية الرب وقوته للخلاص، كما ان الحكمة والعلم المسبق للاله قد عُرفا من خلال يوسف في المرحلة الاخيرة هذه من عبوديته.

العلاقة مع المسيح هي المحك لوضع وحالة الشخص الروحية. هل قال، «تعال» وأنا استجبت؟ ام انه سيقول في ذلك اليوم، «أبعِد»؟ ليمتحن القارئ نفسه بجدّية، «هل أنا للمسيح أم لا؟»

مَنسياً

«وَلكِنْ لَمْ يَذْكُرْ رَئِيسُ السُّقَاةِ يُوسُفَ بَلْ نَسِيَهُ» (تكوين ٤٠: ٢٣) يا له من اهمال لايمكن الصفح عنه! أما كان عليه في كل مرّة يقدم بها الكأس الى فرعون ان يتذكر ذلك العبراني صانع الجميل؟ أه، لكن كيف **نسي** الذي سكب دمه ليفدينا؟ ألم يؤسس — الأعظم من يوسف — العشاء الربّاني، الذي يرمي من خلال شركة الخبز والكأس الى احياء ذكراه؟ «اِصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي» (لوقا ٢٢: ١٩). من المحزن ان يكون مَنسياً. من يقدر ان يدخل الى مشاعر يوسف، الذي ارجئت اماله هكذا؟ شخص اخر، شاب مثله، كان قد ازداد مرارة في الغالب، لكن النعمة حفظت فيه روح المطمئن، الهادئ، والواثق. كان قد «كُمِّل بالالآم»، كالرب يسوع، «الَّذِي احْتَمَلَ مِنَ الْخُطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ» (عبرانيين ١٢: ٣).

لكن التأخير كان معيّناً من قبل الاله، ولمجده، ليكن بمقدور يوسف ربّما، وكل من يقرأ تأريخه،

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

ان يقتفي اثر عمل اليد الالهية، فكر الاله فائق السيطرة، ويعبده، **الذي هو** «مُعْتَزًّا فِي الْقَدَاسَةِ، مَخُوفًا بِالتَّسَابِيحِ، صَانِعًا عَجَائِبَ؟» (خروج ١٥: ١١). «لأَنَّ الرُّؤْيَا بَعْدُ إِلَى الْمِيعَادِ، وَفِي النِّهَايَةِ تَتَكَلَّمُ وَلاَ تَكْذِبُ. إِنْ تَوَانَتْ فَانْتَظِرْهَا لأَنَّهَا سَتَأْتِي إِتْيَانًا وَلاَ تَتَأَخَّرُ» (حبقوق ٢: ٣).

«اِنْتِظَارًا انْتَظَرْتُ الرَّبَّ، فَمَالَ إِلَيَّ وَسَمِعَ صُرَاخِي» (مزمور ٤٠: ١).

يوسف كان مَنسياً، من قبل الشخص الذي كان ينبغي عليه، من دون كل الناس، ان يذكره باستمرار. لكن أليس المؤمنون هم غالبا غير مكترثين **لصانع** الجميل **الحقيقي**؟ الذي صرّح بالصفح عنهم وتبريرهم؟ حسنا لعل مثل هؤلاء، عندما يُحضرون الى ادراك اخفاقاتهم، يقولون، «أَنَا أَتَذَكَّرُ الْيَوْمَ خَطَايَايَ» (تكوين ٤١: ٩).

لم ينضج بعد وقت استعلانه. «مقاصد الاله تنضج سريعا، تتجلّى للعيان كل ساعة. ربّما يكون للبرعم طعما مرّاً، لكن سرعان ما يكون الزهر حلوا». الاله الذي يعلم بالنهاية منذ البدء عيّن وقت اطلاق عبده. سيرى يوسف عاجلا يوضوح كيف ان «كل الأشياء» حقا «تعمل معاً للخير». كان هناك احتياج عظيم على وشك ان يبرز، والرب تسبّب في تذكّر يوسف في اللحظة المناسبة، لكي يتم استخدامه اياه، وأياه فقط — بسبب شركته مع الاله — من قبله لتسديد ذلك الاحتياج. سرعان ما صار لا بديل عنه بالنسبة لفرعون، لمصر، لكل البلدان، واخيرا لعائلته الخاصة. ظرفا مشابها كان قد حدث قرابة قرون بعد ذلك، عندما انذر مردخاي أستير، — «مَنْ يَعْلَمُ إِنْ كُنْتِ لِوَقْتٍ مِثْلِ هذَا وَصَلْتِ إِلَى الْمُلْكِ؟» (استير ٤: ١٤). اليس احتياج العالم مايزال ضاغطا كما كان في كل حين؟ من منّا يحسب العيش في هذا اليوم امتيازاً، حيث ان شهادة الرب تبدو قليلة وواهنة، والارتداد ينمو بسرعة؟ دعونا نتذكر كلمات ربّنا، «كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا» (يوحنا ٢٠: ٢١)، اخذين بنظر الاعتبار انه صاحَبَ تلك الكلمة بنفخة منه وقال لهم، «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ» (اية ٢٢). «كُونُوا مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا» (١ بطرس ٣: ١٥). «كُونُوا...مُكْثِرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ» (١ كورنثوس ١٥: ٥٨).

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

رجل واحد للاله

واحد فقط، وذلك الواحد كان في السجن، وقف للرب، واحد فقط كان باستطاعته ان يجعل قصده معروفا. كذلك اليوم، فان الخلاص هو باسم الرب يسوع فقط لانه، «لَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ» (اعمال ٤: ١٢). وحده فقط عرف فكر الآب، وقدر ان يفسّر ذلك الفكر، ويعرّف بمشيئته.

احلام فرعون كانت قد ازعجته جداً، لكن الرجاء تجدّد فيه عندما أخبروه بيوسف. «فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ وَدَعَا يُوسُفَ، فَأَسْرَعُوا بِهِ مِنَ السِّجْنِ» (تكوين ٤١: ١٤). «جعلوه يركض» (في النص الاصلي)، بهذه الحدّة كان قلق الملك. بعدها هيأ نفسه «للحضور»، حتى انه حلق وأبدل ثيابه.

حقا، يبدو ان يوسف كان الأهدأ في وسط ذلك المجلس المضطرب. لاحظ ايضاً، كيف انه أعطى كل المجد للاله. «لَيْسَ لِي. الإِلهُ يُجِيبُ بِسَلاَمَةِ فِرْعَوْنَ» (اية ١٦). «قَدْ أَخْبَرَ الإِلهُ فِرْعَوْنَ بِمَا هُوَ صَانِعٌ» (اية ٢٥). «لأَنَّ الأَمْرَ مُقَرَّرٌ مِنْ قِبَلِ الإِلهِ، وَالإِلهُ مُسْرِعٌ لِيَصْنَعَهُ» (اية ٣٢).

أوصى يوسف، بتفسيره الرسالة الالهية، بأتخاذ خطوات عملية معيّنة، أي بتعيين «مراقباً للقوت». «فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ وَفِي عُيُونِ جَمِيعِ عَبِيدِهِ. فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِعَبِيدِهِ: ‹هَلْ نَجِدُ مِثْلَ هذَا رَجُلاً فِيهِ رُوحُ الإِلهِ؟› ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: ‹بَعْدَ مَا أَعْلَمَكَ الإِلهُ كُلَّ هذَا، لَيْسَ بَصِيرٌ وَحَكِيمٌ مِثْلَكَ. أَنْتَ تَكُونُ عَلَى بَيْتِي، وَعَلَى فَمِكَ يُقَبِّلُ (يخضع كل شعبي لأوامرك) جَمِيعُ شَعْبِي...قَدْ جَعَلْتُكَ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ›» (تكوين ٤١: ٣٧-٤١).

الاقرار برجل الاله

لقد برزت حقيقتان بالغتا الاهمية في تبنّي الموقف الجديد تجاه يوسف. وهاتان:

١. قبول لا يرقى اليه الشك بكلمته

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

ب. ايمان غير مرتاب في شخصه

كان ذلك في الماضي عندما أُستهين بكلمات يوسف من قبل اولئك الذين كان ينبغي ان يعرفوه ويحترموا مصداقيته. لم يُذكر بان اخوته لم يؤمنوا بما قيل لهم. اياه أبغضوه وحسدوه، فعانت كلماته الشيء نفسه. وكذلك الامر عندما كان الرب يسوع على الأرض. اذ لم يكن بالامكان تكران كرازته، لكن اسرائيل أبغضوه بلا سبب. لذا رفضوا كلماته، وكان معلّموهم في المقام الاول في المعارضة. عامّة الناس كانوا يسمعونه بفرح، لانه «تكلّم بسلطان وليس كمثل الكتبة» (متى ٧: ٢٩). البعض كان يؤمن به، لكن الغالبية العظمى، وهم منساقون وراء زعمائهم الدينيين، رفضوه مجتمعين، الى هذا الحد كانوا عمياناً ومستعدّين لاتباع اولئك الذين مدّوهم بمشورة حسب رغبات قلوبهم؛ وكما ان الانجيل، في الوقت المعيّن، قد أُستقبل بسرور من قبل الامم، هكذا أيضا، في حالة يوسف، لقد قبله ملك وأمة أمميان، اياه وكلماته، بعد رفضه من قبل اخوته.

مالسبب وراء هذا القبول الغير مرتاب لكلمات يوسف — كلمته المجرّدة؟ من كان يقدر ان يثبت صحّتها؟ ولماذا كل هذا الاكتراث بشأن المستقبل؟ ليس هناك الاّ جواب واحد فقط. انه كان من قبل الرب. القلق العميق وحيرة فرعون، التي لم يستطع انسان ان يسكّنها، تم تلبية حاجتها وذلك من خلال تكلّم الاله بواسطة خادمه.

كانت هنالك قوة مطمئنة البال عند يوسف، وثقة هادئة، التي كان لها عظيم الاثر في الملك ومستشاريه. لقد آمنوا به.

الايمان بالمسيح

لماذا كل من يُقبل الى المسيح، يكون مستنداً على كلمته فقط؟ ذلك لان النفس، قلقة وحائرة، تجد فيه فقط، الجواب بنعمة لكل احتياج. هناك قلق بشأن «العصر الآتي»، ليس لاربعة عشر سنة وجيزة فحسب، لكن للمستقبل الأبدي. روح الاله، الذي تكلّم من خلال يوسف، هو من يُحدث هذا القلق. انه عمله ليحوّل القلب نحو المسيح، جاعلا النفس راغبة في يوم قوته، مستعرضا ان المسيح لا عوض عنه للخاطئ المدرك وان الفداء بدمه هو الأساس الوحيد للخلاص. لذا فهو مُجبَر على ان يؤمن. ايضا، يوجد هناك تشابه بين ايمان الملك المصري بكلمة يوسف والايمان الهادئ

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

لذلك الذي يستند على كلمة الاله المنطوق بها.
لكن، اضافة الى ذلك، فان فرعون وبلاطه أسلموا انفسهم الى يد يوسف من أجل خلاص وقتي. لم يكن يفكّر بنفسه عند اعطائه النصيحة من اجل تعيين مراقبا للقوت. هنا في هذا هو اقل مرتبةً من ابن الاله، الذي يدعو الى طاعة شخصه ويتوق الى تفويض تام لكيان المؤمن بكامله الى شخصه. يوسف اصبح «ربّا» في مصر، وفقط الملك كان اعلى منه، لكن المسيح هو «رب الكل».

المجد عقب الالام

عند تقديمه النصيحة لفرعون بتعيين «رَجُلاً بَصِيراً وَحَكِيمًا» على كل ارض مصر، لم يكن يخطر على بال يوسف بان يكون هو ذلك الشخص. كان أميناً في القليل «والان قد صار حاكما على أمور كثيرة». قال الاله «إِنِّي أُكْرِمُ الَّذِينَ يُكْرِمُونَنِي» (١ صموئيل ٢: ٣٠).
مع ذلك، فان هكذا اكرام لم يكن بالامكان حسبانه. احلام يوسف كانت مُعدّة لتكشف عن هكذا تمجيد الذي لاجله تم احضاره، لكن من كان بمقدوره أن يعلم، باستثناء الاله الذي اعطاها، سعة معانيها؟ الانبياء في السابق كانوا «بَاحِثِينَ أَيُّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ، إِذْ سَبَقَ فَشَهِدَ بِالآلاَمِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ، وَالأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا» (١ بطرس ١: ١١).
كان القصد من وراء آلام يوسف من أجل تكميله هو، بهدف ايصال بركات الى اخرين، وانتهت بحسب تعيين الرب.
ان فجائية التغيير من العبودية الى الحرية، من ثياب السجن الى ثياب الامراء، قد تلائم مع كماله، لانه لم يرجع ابداً عن هذا المنصب الجديد! كم يصوّر هذا نعمة الاله في الفداء، في المصالحة، وفي تجديد «آنِيَةِ رَحْمَةٍ» مختارا! علاوة على ذلك، فان اظهار التغيير لم يُشاهَد في مجده الخارجي فحسب، بل قد اعطي اسماً جديداً — صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ — يعني، كما قيل من بعضهم، «رئيس سلطان حياة العالم». كم بالحقيقة كل هذا نمطا من ربّنا يسوع المسيح، ومن آلامه وتمجيده! أقيم من بين الاموات، مرتفع الان، وقد اعطي «اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ» (فيلبي ٢: ٩). هو جالس عن يمين الآب ولن يمر بالحزي ثانية. لقد قال «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ» (متى ٢٨: ١٨)، ومازالت

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

عظيمة هي انتصاراته في الانجيل. قد قيل لهم «ارْكَعُوا» (تكوين ٤١: ٤٣) من جهة يوسف. «تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ» (فيلبي ٢: ١٠).

يسوع المسيح هو هو

هكذا كُرِّمَ الغالب في التجربة. ومع كل درجات الشرف هذه التي انهالت عليه، مازال هو يوسف، الرجل المتكّل على الرب، عاملاً للرب. سُمّي الابنان اللذان أعطيا له منسى وافرايم، «لأَنَّ الإِلهَ أَنْسَانِي كُلَّ تَعَبِي وَكُلَّ بَيْتِ أَبِي» (تكوين ٤١: ٥١)، وايضا، «لأَنَّ الإِلهَ جَعَلَنِي مُثْمِراً فِي أَرْضِ مَذَلَّتِي» (اية ٥٢). كم هو مبارك التذكّر بان يسوع، مرتفعا في المجد، مع ذلك هو نفسه، «يَسُوعَ هذَا» (اعمال ١: ١١). «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ» (عبرانيين ١٣: ٨). كل المعاناة، والرفض، وتَحمُّل الغضب كان في الزمن الماضي، لكن لازالت هي **نفسه**، «**نفسه**» الرحيمة، والعطوفة.

اكمل الرب يسوع عمله وهو في أثناء الرفض بعد. العمل العظيم الذي من اجله اكتسب يوسف لنفسه أسماً، قد تمّ بعد ان نال الترفيع. كذلك الرب يسوع، قد اعلن عن دينونة مقبلة، لان المجاعة هي معاقبة من عند الرب، وايضا، على نحو مشابه له، قد صنع تدبيراً للنجاة منها. لم يكن هناك شخص آخر غير يوسف من عرّفه الاله بخططه. جُعلَ العالم أجمع معتمداً على شخص واحد. وهكذا قيل عن الرب، «وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ» (اعمال ٤: ١٢). تجاهله ما هو الاّ أستئناف لحكم قضاء اكيد وأبدي، كما هو أيضا رفض الطعام في مصر كان سيعني موتاً للرافض.

ما الذي كان المصريون يفكّرون به عندما رأووا مخازن أكبر وأكبر وهي تبنى وتملأ بالقمح «كَرَمْلِ الْبَحْرِ، كَثِيرًا جِدًّا حَتَّى تَرَكَ الْعَدَدَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَدَدٌ» (تكوين ٤١: ٤٩)؟ عام بعد عام، غلة وفيرة يتم جنيها. لو لم تكن ليوسف، كم كان الهدر سيكون كبيراً؟ هل كان بعض الناس يظنّون انه رجل حالم، ويميلون الى التذمر بشأن التنازل عن فائض الحبوب؟ على ضوء الغلة الجيّدة، قد يجادل البعض، لماذا كل هذا الاحتياط بالمؤن لاجل شيء ربما لن يحدث قط؟ هكذا هو موقف

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

الناس اليوم، بالنسبة الى المجيء الثاني للمسيح (انظر ٢ بطرس ٣: ٤).

المُعيل

ثبت يوسف بعد ذلك انه كان صادقا، وصار عند المصريين، في الوقت المعيّن، سبباً للشكر والامتنان من اجل بصيرته وتدبيره. في وقت احتياجهم صرخوا الى فرعون من اجل الخبز. أجابهم قائلا «اذْهَبُوا إِلَى يُوسُفَ، وَالَّذِي يَقُولُ لَكُمُ افْعَلُوا» (تكوين ٤١: ٥٥). لم يكن ذهابهم بلا جدوى. «وَفَتَحَ يُوسُفُ جَمِيعَ مَا فِيهِ طَعَامٌ وَبَاعَ لِلْمِصْرِيِّينَ. وَاشْتَدَّ الْجُوعُ فِي أَرْضِ مِصْرَ» (اية ٥٦). لكن «كَانَ الْجُوعُ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ»، «وَجَاءَتْ كُلُّ الأَرْضِ إِلَى مِصْرَ إِلَى يُوسُفَ لِتَشْتَرِيَ قَمْحًا، لأَنَّ الْجُوعَ كَانَ شَدِيدًا فِي كُلِّ الأَرْضِ» (اية ٥٧). الاحتياج كان عالمياً، وبرحمة الاله، عاملا من خلال خادمه، تم تسديد ذلك الاحتياج، بالحقيقة ليس مجّانا، بل مقابل ثمن، مع ذلك كان هناك وفره، ولم يُصرَف أحد فارغا.

بالتأكيد فان قلوبنا وعقولنا تنبض بالمحبّة للمخلّص! «اَلآبُ يُحِبُّ الابْنَ وَقَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدِهِ» يوحنا ٣: ٣٥. الاحتياج الكوني هو التحرير من الخطيئة ودينونتها، وعلى ما يبدو اننا نسمع صوت الاله موجهاً ايّانا الى المسيح، كما قيل للناس، «اذْهَبُوا إِلَى يُوسُفَ». هو لا يبيع، ولا حتى «أواني الرحمة» تشتري الخلاص. أسمع كلمات الدعوة الى اولئك الذين ليس معهم نقود (أشعياء ٥٥) «تَعَالَوْا اشْتَرُوا وَكُلُوا. هَلُمُّوا اشْتَرُوا بِلاَ فِضَّةٍ وَبِلاَ ثَمَنٍ خَمْرًا وَلَبَنًا». ثمنا باهظا قد تم دفعه من اجل فداء المختارين، لكنه جاء اليهم «بِلاَ فِضَّةٍ وَبِلاَ ثَمَنٍ».

تباركت الامم قبل اسرائيل

عظيم هو العمل الذي تم انجازه تحت اشراف يوسف، لكن قيمته العظيمة أُثبتت في النهاية. مجيد وعظيم كان عمل ذلك المخلّص الذي «مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ» (أشعياء ٥٣: ١١). لم يهتم

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

أحد به، مع ذلك بذل نفسَه، قد سكب دمه الثمين من اجل خلاصنا، آلامه كانت بالنيابة عنا. يوسف لم يكن مدعواً لحمل خطايا اخرين، لكن كان هناك قصد من وراء معاناته، لانها كانت بهدف بركة الجماعة.

انه لأمر ذو اهتمام عميق وذو أهمية نبوية بان اولى خدمات يوسف كانت للامم، وقد اعطيت له عروس اممية. اسنات لم تكن تعرف قط احزانه ورفضه ولا قد شاركته بها، لكنّها انضمّت اليه في مجده البهي. هنا تشابه، على شكل نبوءة. ألا يقتني الان الرب يسوع شعباً من كل الامم لاسمه؟ — اليست هي عروسه — الكنيسة- حالياً مؤلّفة من مؤمنين من بين الامم في الغالب؟ من جهة الجسد، فان الرب قد جاء من اسرائيل، لكن، «خَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ» (يوحنا ١: ١١). اسرائيل قد رفضته. على نحو مخيف جداً وقع اختيارهم هذا في ذلك عيد الفصح المشهود. «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا» (متى ٢٧: ٢٥). المسيح ميت في تقدير اسرائيل. مع انهم، من الناحية القومية، اخوته، هم مستثنون حالياً من البركة القومية. قد اعميت بصيرتهم.

لكن الكنيسة هي «بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ» (افسس ١: ٣). لديها حق الدخول بروح واحد من خلاله الى الآب. كل الاشياء هي لها، وهي للمسيح، والمسيح هو للاله. لا مجاعة تؤثر على القديسين، لانه، «يَمْلأُ إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (فيلبي ٤: ١٩).

تباركت الامم اولاً من خلال يوسف، ومن ثم اخوته من بعد ذلك، وهذا يشير الى ان اخوته — اسرائيل بحسب الجسد — سينظرون اليه، الى الذي طعنوه وينوحون عليه، كما أُستقبل يوسف في المرة الثانية (اعمال ٧: ١٣). موسى، كذلك، اختبر الرفض في البداية، وقُبِل عندما جاء ثانية الى اخوته.

بداية المصالحة

الان قد وصلنا الى ما يمكن اعتباره الحادثة الاكثر اثارةً في الكتاب المقدس. بالتأكيد انها كانت كذلك بحسب تجربة يوسف ايضاً. في سفر التكوين، الاصحاحات من ٤٢ الى ٤٥، تم تدوين مصالحة يوسف مع اخوته، والخطوات التي تحققت بها تلك النتيجة السعيدة. قد يُلام يوسف

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

احيانا، كونه «إِنْسَانًا تَحْتَ الآلاَمِ مِثْلَنَا» (يعقوب ٥: ١٧)، على تصرفه تجاه اخوته في المراحل المبكرة من استرداد المحبة الاخوية المنشودة الذي طالما انتظره. لكن هل من الحكمة او الكرم او حتى العدالة ان يكون صارما؟ تذكّر بان يوسف كان قد تعلّم الصبر من خلال تجاربه، وان الاله متمهّل، والفشل ياتي من محاولات لشفاء الجرح بصورة جزئية. حتى في العلاقات الارضية، سواء أكانت بين الامم، ام المجتمعات، ام «ثنائيات» و «ثلاثيات»، هناك أمثلة يمكن تذكّرها عن عواقب وخيمة ناتجة عن «سلام مرقّع». ليس كما يتعامل الاله في عملية جذب الخاطئ الى شخصه.

الرب يسوع المسيح، **الذي** «تَعَلَّمَ **الطَّاعَةَ**» (عبرانيين ٥: ٨)، «وَإِذْ كُمِّلَ* صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ، سَبَبَ خَلاَصٍ أَبَدِيٍّ» (اية ٩). الذين هم اخوته ينبغي أن يحملوا طباع شخصيته. فان كان هو مطيعا، كذلك ينبغي ان يكونوا هم ايضاً، ليس من اجل اقتناء الخلاص، لكن كبرهان على انهم شعبه المُخلّص.

هذا الان جزء مهم جداً من الحق الذي تمثّل بتعامل يوسف الحكيم مع اخوته. عندما جاؤوا الى مصر، كان بسبب ان **الجوع قد أجبرهم**. «لِمَاذَا تَنْظُرُونَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ؟» (تكوين ٤٢: ١) هكذا قال يعقوب الى اولاده، الذين بدوا وكأنهم عاجزين عن المبادرة. النظر الى بعضهم البعض لم يجدي نفعا، كما ان، «الأَخُ لَنْ يَفْدِيَ الإِنْسَانَ فِدَاءً، وَلاَ يُعْطِي الإِلهَ كَفَّارَةً عَنْهُ» (مزمور ٤٩: ٧). هكذا ايقظهم يعقوب من الغيبوبة، لكنّه لم يتوقف عند ذلك. «وَقَالَ: إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ يُوجَدُ قَمْحٌ فِي مِصْرَ» (تكوين ٤٢: ٢). لم يستفيدوا من تحذير يوسف ومشورته، حتى لو نعموا بسبع سنين من الحصاد الوفير، لكانوا الان يواجهون الموت جوعا، بسبب الاسراف. يا لها من صورة عن الجنس البشري! الرب يتأنّى برأفة. هو طويل الروح، مع ذلك «يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا» (اعمال ١٧: ٣٠). والانسان لايزال مسرفاً في استخدام الوقت والفرصة، ويهمل الاستعداد للمستقبل الجليل.

لكن الرسالة بشأن وفرة مصر كانت قد وصلت الى أرض كنعان، وآمن يعقوب وتصرف على اساسها. «انْزِلُوا إِلَى هُنَاكَ **وَاشْتَرُوا** لَنَا مِنْ هُنَاكَ» (تكوين ٤٢: ٢). «فَنَزَلَ عَشَرَةٌ مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ **لِيَشْتَرُوا** قَمْحًا مِنْ مِصْرَ» (اية ٣). كان هذا اعتقاد يعقوب، لكن كان عليه ان يتعلّم ان كل شيء كان له «بدون مقابل».

---

*«أحضر الى الهدف»، ليس هناك اي فكرة لعدم الكمال، او اشارة الى الهزيمة

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

ادراك الحاجة

لاحظ اذن، أولاً، ان اخوة يوسف كانوا مُلزمين بالقدوم اليه بسبب حاجتهم الاكيدة.
أبان وصولهم عرفهم يوسف، لكنهم لم يعرفوه ولم يدركوا بانه قد فهم كلامهم. تكلّم بجفاء معهم (في النص الاصلي، «أشياء صعبة معهم»). بهذه الطريقة تم استدراجهم لقول الحقيقة عن انفسهم ولاحضار خطيئتهم الى ذاكرتهم. هل تجرأوا بالحديث فيما بينهم حول يوسف منذ ذلك اليوم الغير سار حين نفوه من حضرتهم؟ حتى قلوبهم القاسية ألم توخز من الندامة لو انهم سمحوا لافكارهم ان تمعن النظر في فعلتهم الاثيمة؟ كم كانوا بحاجة الى مراقبة كلماتهم، وحذرين لتضادي تجمعهم للحوار، لئلا يوقَظ بذلك شك الاب المنكسر القلب! حقّاً، ان الخطيئة لشيء مكدّر، يسلب كل السلام، ويجلب الشك والحاجة الى الصراحة في العوائل، مسبّباً غيمة من الحيرة تخيّم حول الاشخاص والمجتمعات، غيمة لا يمكن ازالتها، نتيجة الجهل بالمسبب. «آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلهِكُمْ» (اشعياء ٥٩: ٢) هي كلمة كانت قد قيلت الى اسرائيل في يوم لاحق. واسرائيل في الوقت الحالي — كم لا يروق لهم ان يسمعوا اسم يسوع؛ كم يتحسسون ويغتاظون عند ذكر ذلك الاسم. ألَمْ تكن الحال كذلك في الايام التي عقبت يوم الخمسين؟ «أَمَا أَوْصَيْنَاكُمْ وَصِيَّةً أَنْ لاَ تُعَلِّمُوا بِهذَا الاسْمِ؟ وَهَا أَنْتُمْ قَدْ مَلأْتُمْ أُورُشَلِيمَ بِتَعْلِيمِكُمْ، وَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْلِبُوا عَلَيْنَا دَمَ هذَا الإِنْسَانِ» (اعمال ٥: ٢٨). ألم يكن الضمير حياً؟ نعم، ولو انه كان قد عاد ونام ثانية، الاّ ان روح الاله كان يعمل حتى انه، في وقت لاحق، كانت هناك جماعة كبيرة من الكهنة مطيعة الى الايمان. كذلك الحال ايضا مع اخوة يوسف. لقد تعرّضوا الى اسئلة تحقيقية بشكل مباشر، والضمير قد اوقظ من جديد. كان ذلك هو السبب وراء حديث يوسف معهم باشياء صعبة — لكي يبكتهم على ذنب الدم، لان هذا ما كان في نواياهم، ان لم يكن في فعلتهم الحقيقية.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

صحوة الضمير

«وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «حَقًّا إِنَّنَا مُذْنِبُونَ إِلَى أَخِينَا الَّذِي رَأَيْنَا ضِيقَةَ نَفْسِهِ لَمَّا اسْتَرْحَمَنَا وَلَمْ نَسْمَعْ. لِذلِكَ جَاءَتْ عَلَيْنَا هذِهِ الضِّيقَةُ». فَأَجَابَهُمْ رَأُوبَيْنُ قَائِلاً: «أَلَمْ أُكَلِّمْكُمْ قَائِلاً: لاَ تَأْثَمُوا بِالْوَلَدِ، وَأَنْتُمْ لَمْ تَسْمَعُوا؟ فَهُوَذَا دَمُهُ يُطْلَبُ» (تكوين ٤٢: ٢١-٢٢).

لقد تألم قلب يوسف عندما سمعهم يتّهمون بعضهم البعض ويتعذّرون، لكن الوقت لم يحن بعد للمصالحة. كان يجب جس الجرح بصورة اعمق بعد، كذلك الحال ايضا مع الخاطئ المستيقظ. الناموس يتكلم معه بقسوة، «بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ» (رومية ٣: ٢٠). «وَأَمَّا النَّامُوسُ فَدَخَلَ لِكَيْ تَكْثُرَ الْخَطِيَّةُ» (رومية ٥: ٢٠). على اية حال، من خلال هذه «الأشياء الصعبة» يُحضر الاله المحب والحكيم الخاطئ الى نهايته. كلّما كان الاحساس بالخطيئة أعمق، كأن شيئا مريعاً قد أرتكب ضد كائن رحيم، وقدوس، وبار، كلّما كان التحرير عند مجيئه مباركاً اكثر.

على هذا النحو سيتعامل الاله مع اسرائيل في يوم ما في المستقبل. يجب ان يكون هناك «وَقْتُ ضِيقٍ عَلَى يَعْقُوبَ» (ارميا ٣٠: ٧)، كل الامم ستتحالف ضدّهم، الرب **نفسه** سيتعامل بصرامة معهم، بسماحه لثلثين منهم ان يُقطَعوا ويموتوا. اما البقية فستجتاز من خلال النار. لكن **سينظرون** الى **الذي** طعنوه وينوحون ويكونون في مرارة. و «يَكُونُ يَنْبُوعٌ مَفْتُوحًا...لِلْخَطِيَّةِ وَلِلنَّجَاسَةِ» (زكريا ١٣: ١). يارب، عجّل من يوم توبة اسرائيل وردّهم.

لاحظ، اذن، ثانياً، بان الضمير قد أوقظ، وتم وضع حمل ثقيل من الذنب على قلوب الأخوة.

اضافة الى ذلك، كان هناك مترجماً بين يوسف واخوته. لم يميّزوا وجهه ولا حتى كلامه، لان الوقت لم ينضج بعد للاعلان الكامل عن نفسه. هنا تشابه مع تعاملات الرب نحو من يروم ان يباركهم. الرب لديه خدّامه «المدعوين» الذين يعلنون حقه وطريق الخلاص. ربما يفسّرون الكتاب المقدس بنعمته، لكن روحه القدّوس، الذي ارسله، هو الذي يحدث شعوراً بالحاجة والعطش الى الاله **الحي**. النفس المستيقظة قد لا تفهم **التعاملات الالهية**، وربما قد تستاء منها في البداية، ومهما أُستعرض الانجيل بشكل جدّي وواضح من قبل مؤمن الى خاطئ مضطرب، فانه لايقدر ابداً ان

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

يفهم الخلاص الى أن، كما اختبر بولس، «سَرَّ الإِلهِ...أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ» (غلاطية ١: ١٥، ١٦). كل المختارين ينبغي ان يكون لديهم هذا الاعلان الداخلي والسماوي.

لاحظ، اذن، ثالثاً، بان الوقت للكشف عن نفسه الى أخوته كان معين من قبل يوسف، وليس من قبلهم.

تعاملات حكيمة مع المذنبين

لا ننسى انه طيلة هذا الوقت لم يتكلّم يوسف بشكل مباشر مع اخوته، بل من خلال مترجم، مذكّراً ذلك بالروح المعزّي (في الاصل: محامي الدفاع) الذي يعد الطريق لقبول المسيح، ويشفع (يدافع) عن أستحقاقاته في «أواني الرحمة». لم يتم التعرّف على وجهه، كلماته لم تُفهَم، ولم يكن بالامكان فحص دوافعه من قبل الاخوة الاذلاّء. لقد أسيء فهم افعاله الطيّبة والرحيمة، حقاً، قد اختلطت عليهم الامور بسبب المعاملة القاسية، وانما زاد هذا من عذابهم الذهني. لم يقدورا ان يقرأوا القلب الذي احترق بالمحبة نحوهم، ولا حتى الفكر الذي خطط بهذا القدر من الحكمة للمصالحة واللتي كانوا سيدركوها في الساعة المعيّنة.

كم هو الشبه بين هؤلاء الرجال والخاطئ المستيقظ، الذي يتعامل معه الروح القدس! أحياناً يلمس علامة حسنة، ومن ثم، ربما حالاً بعد ذلك، بعض التعامل الغريب الذي يبدد اماله، ويجعله يتعجّب كيف ان الاله يقاومه. بالطبع، فان اختبارات مختاري الاله ليست نفسها في كل حالة، لكن هناك تشابه اساسي في الطرق الالهية مع الخطاة الذين يجذبهم الى نفسه. انه من الرحمةً حقا التعرّض الى التعاملات الالهية عندما تقود الى المعرفة الخلاصية للفادي. مع ذلك، كلمة تحذير هنا! لا تدع النفس تستريح بـ «المظاهر والمشاعر». لا تدع الظن بتشابة التجربة يخدع النفس بان كل شيء على ما يرام. بل بالحري، لتتحول الاعين، ليس الى الداخل، بل خارجاً والى الاعلى، وأن لا يهدأ شخص كهذا، حتى «يرى يَسُوعَ...أَلَمَ الْمَوْتِ...يَذُوقَ الْمَوْتَ» (عبرانيين ٢: ٩) عوضاً عنه — الى ان يمكنه القول، «ابْنِ الإِلهِ الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي» (غلاطية ٢: ٢٠).

لنواصل تأملنا — بعد أن «جَمَعَهُمْ إِلَى حَبْسٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ» (تكوين ٤٢: ١٧). أخذ يوسف شمعون وقيده «أَمَامَ عُيُونِهِمْ» (تكوين ٤٢: ٢٤). هل كان عليهم ان يرجعوا بدونه الى ابيهم المثقل بالأعباء

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

أساساً؟ نعم، لانهم كانوا بالكامل في قبضة يوسف. كان بمقدوره ان يفعل ما يشاء، لم يكن هناك مفر، يوسف كان هو سيد الموقف وحسنا كان هكذا.
ومع ذلك ان نفس الاية التي سجلت تقييد شمعون «أَمَامَ عُيُونِهِمْ»، تقول ايضا انه، «تَحَوَّلَ عَنْهُمْ وَبَكَى». انها صورة جميلة من المخلّص الحنّان، الشفوق مع ذلك الحازم، الرحيم والرؤوف مع ذلك المليئ حكمة! نعم، ان مناطق الخطيئة الصحراوية ينبغي ان تُدرك قبل الاستمتاع بمحبّة قلبه. «الصرامة» كانت مصحوبة بالتصرّف الرحيم من خلال تزويدهم بالطعام الذي احتاجوه، بدون مقابل. «ثُمَّ أَمَرَ يُوسُفُ أَنْ تُمْلأَ أَوْعِيَتُهُمْ قَمْحًا، وَتُرَدَّ فِضَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ إِلَى عِدْلِهِ، وَأَنْ يُعْطَوْا زَادًا لِلطَّرِيقِ. فَفُعِلَ لَهُمْ هكَذَا» (تكوين ٤٢: ٢٥).

مخاوف

«النعمة» التي أُظهرت بهذا الشكل لم تُدرك من قبل الاخوة، واكتشاف النقود في أحد الأكياس، في طريق العودة الى المنزل، لم يمنحهم السرور، أنما زاد قلقهم. «فَطَارَتْ قُلُوبُهُمْ وَارْتَعَدُوا بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ قَائِلِينَ: ‹مَا هذَا الَّذِي صَنَعَهُ الإِلهُ بِنَا؟›» (تكوين ٤٢: ٢٨). عند وصولهم الى المنزل أزدادت مخاوفهم، ووجدوا ان نقود **كل واحد** كانت في كيسه. لاحظ ان يوسف تعامل مع كل واحد ومع الجميع على حد سواء. بالنسبة الى الضمير الشخصي فان الشعود بالذنب كان يتعرض للضغط في عقر داره، والجميع، بما فيهم الاب المنكسر القلب والطاعن في السن، كان يغلب عليهم الخوف. «فَلَمَّا رَأَوْا صُرَرَ فِضَّتِهِمْ هُمْ وَأَبُوهُمْ خَافُوا» (تكوين ٤٢: ٣٥). تأوه يعقوب المتقدم في السن وقال «صَارَ كُلُّ هذَا عَلَيَّ» (اية ٣٦).
شيئ واحد، على اية حال، لم يكن عازما على فعله — ارسال بنيامين الى مصر. كونه، كما كان يظن انه فقد أبنين له، فلن يخاطر بخسارة ثالث. لكن الذي كُسِحَ (صار أعرجا) في فنيئيل كان سيُسحَق ثانية، من جهة مقاصده. وسبل الرب في تحقيق هذا كان في تناقص مخزونهم من المؤن، والذي لم يكن بالامكان ملئه ثانية الاّ من مصر.
«وَكَانَ الْجُوعُ شَدِيدًا فِي الأَرْضِ. وَحَدَثَ لَمَّا فَرَغُوا مِنْ أَكْلِ الْقَمْحِ الَّذِي جَاءُوا بِهِ مِنْ مِصْرَ، أَنَّ أَبَاهُمْ قَالَ لَهُمْ: ‹ارْجِعُوا اشْتَرُوا لَنَا قَلِيلاً مِنَ الطَّعَامِ›» (تكوين ٤٣: ١-٢).

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

لم يكن هناك عوز مادي، لكن ما فائدة النقود في المكان الذي كانوا فيه؟ ولم يدركوا ان يوسف كان قد قصد هدية مجانية. كان هناك عوز في الايمان. قليل من الطعام فقط، وكان هذا سيتم شراؤه! بالاضافة الى ذلك، كان هناك ذلك التصميم المتعنت بعدم تحقيق الشرط — «لاَ تَرَوْنَ وَجْهِي بِدُونِ أَنْ يَكُونَ أَخُوكُمْ مَعَكُمْ» (تكوين ٤٣: ٣).

الخلاص هو عطيّة الاله، والذين يحصلون عليه، يحصلون عليه بالايمان، يحصلون عليه بغنى، ولايمسكون حتى أعز ممتلكاتهم لو كانت ذلك دليلا على اعاقة الايمان. واي شيئ اكثر يعزّه الأنسان من بنيامينه؟ — الذي هو ذريته، استحقاقه الشخصي بحسب تخيله؟

اختيار مؤلم

كان على يعقوب ان يتخذ خياراً. اما الموت جوعاً او الخضوع الى طلب «الرجل» في مصر. الاخوة الان واقعيون. خبرتهم مع يوسف اقنعتهم بعدم جدوى محاولة رؤيته مجدداً من دون اصطحاب اخيهم الاصغر معهم. كان امرا عسيراً جداً على يعقوب ان يتخلى عن ارادته ويستسلم. كان مؤلماً تسجيل الحوار الذي دار بينه وبين اولاده، لكن كان لا بد من تحقيق الاذلال. وكيف؟ يبدو ان وعد يهوذا بالضمانة كان يشكّل نقطة تحوّل في هذا الجزء الحسّاس من تاريخ اسرائيل. اقصى شيء كان بامكان يهوذا عمله هو ان يجعل نفسه رهناً محتجزاً بحسب مسرّة يوسف من اجل الابقاء على بنيامين حراً. ما لم يكن في حسبانه هو — هل كان يوسف سيرضى بهكذا عرض؟

آه، كم هو الحال مختلف معه الذي «طَلَعَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا» (عبرانيين ٧: ١٤). ابن الاله العزيز الوحيد، الذي حقاً بهذه الكلمات «هئَذَا أَجِيءُ لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَاإِلهِ» (عبرانيين ١٠: ٧) قد وضع نفسه فدية. لقد اخذ على عاتقه قضية شعبه، وذلك لتلبية كل ما تطلبه الامر منهم. لقد عاش من اجلهم، «صانعا براً لكثيرين»، لقد مات من اجلهم، صانعاً كفّارة لخطاياهم. ولم يكن هناك قط، ولن يكون ابدا، اي شك من جهة رضا الرب عنه، وعن عمله الكامل.

كما يرهن الحدث، فان يهوذا، مع انه كان راغبا، الاّ انه لم يكن مدعواً قط ليكون ضمانة لبنيامين. لكن الرب يسوع قد وعد بالتنفيذ، وتمّم مقاصد الآب؛ وبما انّه عمل الرب، «لاَ شَيْءَ يُزَادُ عَلَيْهِ، وَلاَ شَيْءَ يُنْقَصُ مِنْهُ» (الجامعة ٣: ١٤).

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

لنواصل تأملنا، على الاقل كان يعقوب مستعداً لان يدع بنيامين يذهب. كان هذا الشرط الوحيد المفروض، فقال يعقوب «إِنْ كَانَ هكَذَا فَافْعَلُوا هذَا: خُذُوا مِنْ أَنْفَرِ جَنَى الأَرْضِ فِي أَوْعِيَتِكُمْ، وَأَنْزِلُوا لِلرَّجُلِ هَدِيَّةً. قَلِيلاً مِنَ الْبَلَسَانِ، وَقَلِيلاً مِنَ الْعَسَلِ، وَكَثِيرَاءَ وَلاَذَنًّا وَفُسْتُقًّا وَلَوْزًا. وَخُذُوا فِضَّةً أُخْرَى فِي أَيَادِيكُمْ. وَالْفِضَّةَ الْمَرْدُودَةَ فِي أَفْوَاهِ عِدَالِكُمْ رُدُّوهَا فِي أَيَادِيكُمْ، لَعَلَّهُ كَانَ سَهْوًا. وَخُذُوا أَخَاكُمْ وَقُومُوا ارْجِعُوا إِلَى الرَّجُلِ. وَالإِلهُ الْقَدِيرُ يُعْطِيكُمْ رَحْمَةً أَمَامَ الرَّجُلِ حَتَّى يُطْلِقَ لَكُمْ أَخَاكُمُ الآخَرَ وَبِنْيَامِينَ. وَأَنَا إِذَا عَدِمْتُ الأَوْلاَدَ عَدِمْتُهُمْ» (تكوين ٤٣: ١١-١٣).

يا له من خليط من مشاعر خضوع على مضض، رغبة في الاسترضاء، رغبة الضمير بالتخلص من الدين، عدم الثقة بالدوافع، رجاء في الرب، وخوف من الحرمان! والان من يعجز، من المؤمنين حتى، من رؤية عيوبهم الخاصة مُصوّرة في هذه الكلمات القليلة؟ احبائي المُخلّصين، قلّما ندرك كم نحن من خليط حزين في الغالب. أي رحمة هذه عندما يرانا الاله في المسيح، «مَمْلُوُّونَ (أي كاملون) فِيهِ» (كولوسي ٢: ١٠)، «أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا (أي مقبولين) فِي الْمَحْبُوبِ» (افسس ١: ٦).

مرة اخرى امام سيّد مصر

مرة اخرى الاخوة الان في مصر وواقفون امام يوسف. اكثر من هذا بعد انهم قد أُحضروا الى بيت يوسف. مرة اخرى يستحوذ الخوف عليهم. ماذا يدور في ذهنه؟ يعتقدون بانهم يعرفون. يريد لهم السوء. كم هو شيء مريك الضمير السيء! ان هذه الافكار والكلمات لم يكن ليعبّر عنها لو لم يكن ذلك بسبب الجريمة التي لا يمكن نسيانها منذ عشرين سنة. بالاضافة الى ذلك، ما قالوا انهم لن يفعلوه قط، يفعلونه الآن طوعا. «وَسَجَدُوا لَهُ إِلَى الأَرْضِ» (تكوين ٤٣: ٢٦). «وَخَرُّوا وَسَجَدُوا» (اية ٢٨). هذا ما سيكون بخصوص الأعظم من يوسف. «لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ» (فيلبي ٢: ١٠).

نعم، المتغطرس والملحد، التفاخر الفاجر والمحارب في الانسان، المتهاونون بالسيادة و المفترون على ذوي الامجاد، الكل سوف يخضع تحت اقدام رب المجد.

اخوة يوسف كانوا مضطربين في اذهانهم بظنهم انهم مدينين له، وعبّروا عن مخاوفهم وسلامة نيتهم

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

الى الرجل الذي على بيت يوسف. الانسان في كل حين مهموم ليبرّر نفسه، ولكي يدبّر خلاصه الخاص به. كم كانوا مندهشين عندما قيل لهم «سَلاَمٌ لَكُمْ، لاَ تَخَافُوا. إِلهُكُمْ وَإِلهُ أَبِيكُمْ أَعْطَاكُمْ كَنْزًا فِي عِدَالِكُمْ. فِضَّتُكُمْ وَصَلَتْ إِلَيَّ» (تكوين ٤٣: ٢٣). كم كانوا سعداء ايضا عندما أُطلق اليهم شمعون. بهذا الشكل سكنت مخاوفهم! هل كانت هذه النهاية؟ كلا، لان التجربة الاكثر ألماً مازالت امامهم.

تعاملات مميّزة

«فَأَتَى بَنُو إِسْرَائِيلَ لِيَشْتَرُوا بَيْنَ الَّذِينَ أَتَوْا، لأَنَّ الْجُوعَ كَانَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ» (تكوين ٤٢: ٥). نعم، بين الامم، ومع ذلك مختلفين عنهم، لانه لم يمر أحد غيرهم بهكذا تجربة ذليلة، ولم يأخذ المتوسّلون من الامم خبزا اكثر مما طلبوا، لانهم لم يبلغوا تلك السعادة التي أُعدّت لاولاد اسرائيل. كان الاذلال بتعيين الهي وسبيل ضروري للبركة. هكذا هو الطريق الالهي في التعامل مع الانسان. الانجيل هو «اخبار سارّة»، لكنه اخبار سارّة فقط الى الذين هي اخبار سارّة حقاً، أي، خطاة مدركون ومثقلون بالخطيئة والذنب، عطشون الى الاله وخلاصه. «مِيَاهٌ بَارِدَةٌ لِنَفْسٍ عَطْشَانَةٍ، الْخَبَرُ الطَّيِّبُ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ» (امثال ٢٥: ٢٥).

ان اخوة يوسف قد تم قهرهم، ليس من خلال ممارسة العنف ضد شخوصهم، بل من خلال حكمة تعاملاته. الضمير تم جسّه والارادة تأثرت، ليس عنوة، بل من خلال عمل الهي عميق، وقد تحوّلوا الى الاتجاة المقصود من قبل الرب. هكذا يعمل الروح القدس في قلوب مختاريه، من خلال قهر ثمين وجذّاب.

لقد تبددت مخاوف الاخوة عند احضارهم الى بيت يوسف من خلال وليمته السخيّة على مائدته الخاصة. حتى ان هداياه لهم، قد فاقت كثيرا تلك المُرسلة من قبل يعقوب (تكوين ٤٣: ٢٥)، «وَشَرِبُوا وَرَوُوا مَعَهُ» (ايه ٣٤). ما عسى ان يكون اسعد من هذا، وما اكثر التناقض مع المخاوف التي سبق وان استولت عليهم؟

كان وضع الجلوس المرتب بحسب العمر على المائدة مفاجأة للاخوة. «فَبُهِتَ الرِّجَالُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ» (اية ٣٣)، مع ذلك كانت اعينهم عمياء. يوسف عرفهم، كما كان في يوم لاحق عندما

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

الرب يسوع لم يأتمنهم على نفسه «لأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ الْجَمِيعَ، وَلأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجًا أَنْ يَشْهَدَ أَحَدٌ عَنِ الإِنْسَانِ، لأَنَّهُ عَلِمَ مَا كَانَ فِي الإِنْسَانِ» (يوحنا ٢: ٢٤، ٢٥). «يَا رَبُّ، قَدِ اخْتَبَرْتَنِي وَعَرَفْتَنِي» (مزمور ١٣٩: ١).

وأي نبوءة بالشفقة التي لابن الاله التي شوهدت في دموع يوسف على شقيقه! «الإِلهُ يُنْعِمُ عَلَيْكَ يَا ابْنِي، وَاسْتَعْجَلَ يُوسُفُ لأَنَّ أَحْشَاءَهُ حَنَّتْ إِلَى أَخِيهِ وَطَلَبَ مَكَانًا لِيَبْكِيَ، فَدَخَلَ الْمَخْدَعَ وَبَكَى هُنَاكَ» (تكوين ٤٣: ٢٩، ٣٠). كل هذه الشفقة كانت قد حُجبت عن اخوته، الذين لحد هذا الوقت كانوا يرون فقط رجلاً نبيلاً ذو منزلة رفيعة، مع ذلك متواضع. آه، انه حسن، يا احبائي، ان يكون لدينا النظرة الصحيحة لجلالة مخلّصنا المجيد، لكي يكون هناك تبجيلاً لائقاً وعميقاً في قلوبنا. والان مشهد من دموعه ومنظر شفقته المعطى من قبل الاله سيذيب نفوسنا الى أسف يفوق كل شيء اخر. أن نظرنا اليه الذي ثقبته خطايانا، ونوحنا عليه بادراك مرير بان تعدّياتنا قد أحضرته الى الصليب، سيقودنا، كما سيقود اسرائيل في يوم ما الى «ينبوع مفتوح للخطيئة وللنجاسة». جميع تعاملات مخلصنا التي تبدو في الظاهر انها قاسية هي في الحقيقة محبّة مترأفة، وملاءمتها المباركة سوف تُرى في ذلك اليوم عندما «سنعرف كما عُرفنا».

معرفة مثل هذه قد حُفظت لاولاد يعقوب، لكن ساعة اعلانها مازالت بيد يوسف، كذلك يوم الاعلان الى نفس الشخص المختار هو بحسب علم الاله المسبق وقصده.

«ثُمَّ أَمَرَ الَّذِي عَلَى بَيْتِهِ قَائِلاً: «امْلأْ عِدَالَ الرِّجَالِ طَعَامًا حَسَبَ مَا يُطِيقُونَ حَمْلَهُ، وَضَعْ فِضَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ فِي فَمِ عِدْلِهِ»» (تكوين ٤٤: ١). هكذا، مرة اخرى ليتعلّموا ان زادهم الضروري كان هبة، بدون مقابل، مع ذلك — ليس بلا تخطيط بارع وجهد مضن. لكنهم لم يعلموا شيئا من هذا القبيل، ولم يكن لديهم يد في تدبيره. كل شيء قد تم اعداده، وقد اخذوا مجّانا وبغنى.

محمّلين هكذا ارتحلوا باتجاه منزلهم، لم يكن الجميع مدركين بانهم كانوا يحملون ثُقلاً سيكون الوسيلة لزيادة حدة الشعور بالذنب الذي سبق وان شعروا به.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

الصاق الخطيئة

كيف يمكن لتصرف يوسف الغريب هذا ان ينسجم مع شخصيته القويمة؟ لماذا كان عليه اتهام اخوته بالسرقة، بناء على توجيهاته التي يواسطتها وضع كأسه الفضة في كيس بنيامين؟ السؤال لا يخلو من الأهمية، ولا ينبغي تجاهله. في اي حال من الاحوال، لا يمكن للمؤمنين ان يجعلوا هذا ذريعة لاي تصرف من قبلهم في المستقبل. ان ما نجح عن اسلوب يوسف هذا كان المصالحة التامّة مع أخوته واياه وهذه حقيقة يجب اخذها بنظر الاعتبار.

يوسف نسب الخطيئة اليهم، علماً ان السرقة بعينها لم تكن فعلتهم، مازالت هي نموذجا من تصرفهم السابق، الم يسلبوا والدهم كنزا اعظم بكثير — ابنه الحبيب؟

بالتأكيد، فبالرغم من الصعوبة التي نشعر بها ربما أزاء توظيف يوسف لهذه الوسائل ليجلب عليهم ذنبهم على نحو قاهر، لازال بامكاننا رؤية طيفاً خافتاً من تعاملات الاله مع الانسان. التوبة تسبق المصالحة.

لقد سُمح لاخوة يوسف بمغادرة مصر، محمّلين بقوتهم الضروري، ولم يترك واحد من عددهم. ألم يكونوا سعداء؟ ساروا بضمائر أسهل، كانت خطواتهم اكثر مرحاً وثقة، استمروا هكذا حتى جاء وقت ايقاظهم بشدة من سكينتهم الذهنية. هكذا يتعامل الاله عادة مع الذين لديه مقاصد النعمة المنجّية نحوهم. يخنون بسبب الشعور بالذنب، يفقدون احياناً الامل. ثم شعاع من النور، لبرهة، يطرد الظلام. شيئاً من العناية الالهية المترأفة، يمنح انتعاشاً مؤقتاً ربما من الشد المصاحب لتبكيت الخطيئة غالبا.

هذا ما حصل مع هؤلاء الاحد عشر رجلاً. «وَلَمَّا كَانُوا قَدْ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَبْتَعِدُوا» (تكوين ٤٤: ٤)، يوسف ارسل الذي على بيته وراءهم، و «أَدْرَكَهُمْ» (اية ٦). الكلمات التي تكلّم بها كانت تلك التي وضعها يوسف في فمه. بالفعل، انها كانت ليوسف، ونسبت الخطيئة الى اولاد يعقوب اولئك. «قَالَ لَهُمْ هذَا الْكَلاَمَ» (في الاية نفسها). والخاطئ اليوم، عندما يدركه الاله، من خلال الذي على بيته — الروح القدس — يسمع الكلمات التي تنزع منه كل السلام المؤقت الذي انعم به وتملأه بمخاوف قلقة. أليس الهنا الرؤوف حكيما في جميع تعاملاته؟ اليس من الضروري ان يعرف الخاطئ الجانب الاسوأ من شخصه كي يستطيع ان يثمّن الخلاص أكثر؟ كم

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

كان الاله ولازال أميناً في ملاحقة خاصته، واحضارهم للمصالحة مع نفسه!

لاحظ سخط الاخوة عند الظن بهم مذنبين باقترافهم عمل جاحد الى هذا الحد، «نَسْرِقُ مِنْ بَيْتِ سَيِّدِكَ فِضَّةً أَوْ ذَهَبًا» (اية ٨). هم يعرفون ان جريمة كهذه تستحق موت وعبودية مدى الحياة (اية ٩). لاحظ، ايضاً، كيف انهم سمحوا بثقة باجراء التفتيش، لكن عندما وُجدَ كأس يوسف في كيس بنيامين، بدا وكأن كأس بليتهم قد طفح. هل هناك قصّة اخرى قد صُوّرت فيها عذابات ضمير مستيقظ بشكل حي الى هذا الحد؟ ألا يستطيع القارئ ان يقتفي أثر الكثير من هذا القبيل في تجربته؟

لم يكن هناك انكار للذنب المُنسب. كان ينبغي عليهم ان يرجعوا الى يوسف ويلتمسوا العفو. عندما تقر نفس بخطاياها، وهي حالة تنتج عن طريق عمل الروح القدس، بعيدة كل البعد عن انكار الشخص لذنبه، يشعر نفسه بانه الخاطئ الوحيد تحت الشمس. «اللّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئَ» (لوقا ١٨: ١٣)، صرخ العشّار المكروب. تلك الصرخة، قد لاقت صداها وتكررت عدة الاف المرّات حينها، و تبارك اسمه، لم يتم تجاهلها من قبل الاله.

اعتراف

وهل كان هناك في اي وقت مضى التماساً من نفس مكروبة يلامس القلب الى هذا الحد كالذي بدا من يهوذا، الذي هو الان المتحدّث باسم الجميع. «مَاذَا نَقُولُ لِسَيِّدِي؟ مَاذَا نَتَكَلَّمُ؟ وَبِمَاذَا نَتَبَرَّرُ؟ الإِلهُ قَدْ وَجَدَ إِثْمَ عَبِيدِكَ. هَا نَحْنُ عَبِيدٌ لِسَيِّدِي، نَحْنُ وَالَّذِي وُجِدَ الطَّاسُ فِي يَدِهِ جَمِيعًا» (تكوين ٤٤: ١٦). لذلك كان هناك اعترافا بالذنب، مقر به على انه يعود لهم جميعاً.

لكن ألا نتوقف ونفكّر به — ربّنا يسوع — الذي «قَدْ طَلَعَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا» (عبرانيين ٧: ١٤)؟ حقاً، لم يكن لديه خطيئة شخصية ليعترف بها، لكن ألَم يعترف هو بخطايانا، عزيزي القارئ، وحمل الدينونة الالهية كما لو كانوا خاصته؟ لقد نسبوا اليه، وقد صار طوعا ضامنا لنا، نحن الذين يدعونا الان اخوته (عبرانيين ٢: ١١).

يهوذا واخوته كانوا مستعدّين لان يكونوا جميعاً عبيداً ليوسف على ان يرجعوا بدون بنيامين. بدت وكأنها مشورة يأس، لكن يوسف لم يطلب شيئاً من هذا القبيل. كان، كمثل الذي أعظم منه،

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

كان يعلم ما هو مزمع ان يفعله، وموقفه الحازم ادى الى المزيد من الكلمات الملتهبة بالمشاعر من نفس يهوذا عينه، متوسّلا بان يُقبَل كضامن — واحدا بدلاً من — بنيامين. آه! كيف أنحطّوا الى هذا القدر، ومع ذلك، وعلى نحو غريب، فان خطيئتهم الحقيقية، التي أُرتكبت منذ زمان بعيد جدا، لم يُعتَرف بها وسط كل الكلمات التي تكلّموا بها. اقرأ بعناية حديث يهوذا، ولاحظ انه ليس هناك اي ذكر لجريمتهم الاصلية — فقط تأثيراتها (اية ٢٨). كم حقيقي هذا الشيء كأختبار! فان «اعترافا عاما» قد يُقر به، لكن هناك عزوف محزن عن تسمية الخطايا — خطايا معيّنة — باسمائها الصحيحة.

لو كانت حالة الغفران تتطلب منّا أن نسمّي خطايانا امام الملأ في اجتماع، كم كنا سنتردد، وكم ينبغي علينا ان نحاول السير بالتدقيق! لكن الكتاب المقدّس يقول، «إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا (أي الى الإله) فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ» (١ يوحنا ١: ٩).

كانت خطيئتهم العظيمة هي رفض يوسف، وقد أحضرها الى ذاكرتهم (تكوين ٤٥: ٤). خطيئتنا العظيمة كانت — «مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ» (اشعياء ٥٣: ٣). كم من الرحمة ان ندرك شناعة خطيئتنا، ونطلب السماح من اله غفور!

حب يقود الى حزن بحسب مشيئة الاله

جاء الان وقت **الأعلان والمصالحة** الذين طالما تاق يوسف اليهما بحماس. التماس يهوذا الملتهب بالمشاعر من اجل بنيامين، والاعتراف بالذنب كانا برهانين على الانكسار الذي لطالما انتظره، والذي على اساسه بُنيت كل تعاملاته الحكيمة.

لكن كان هناك شيء اكثر من هذا القبيل من جهة الاخوة، وكما يمكن استخلاصه من كلمات المتحدّث عنهم، فان الاعتبار الرقيق لابيهم الطاعن في السن، والخوف من تأثير ذلك على ابيهم عند عدم السماح لاخيهم الاصغر بالعودة، كان على ما يبدو ظاهراً (تكوين ٤٤: ٣١، ٣٤). هذا اللين كان حقاً في تضاد مع سلوكهم القاسي منذ قرابة عشرين عاما، وهكذا هو تأثير عمل الاله بالنعمة من خلال روحه عندما **يبكّت** على خطيئة ويقود الى التوبة. ليس فقط يكون هناك حزن عميق، بل تغيير في الذهن والسلوك، متمثّلاً باختلاف السلوك تجاه الرب والناس كليهما. لقد تلاشى الاتكال

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

على الذات، والكبرياء، وعدم احترام الاخرين. الخاطئ المقتنع لا يشعر نفسه فقط بانه ليس اهلاً لحضور الاله، بل ايضا لشركة المسيحيين. لو آذى اخرين، فسيكون ذلك عبء ايضا، مع انه بالحقية عليه ان يعترف بذلك، «إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ» (مزمور ٥١: ٤).

كما هو الحال مع يهوذا، الضامن المُعيّن من قبل نفسه، (تكوين ٤٤: ٣٢)، كذلك فان كلمات اية ٣٣ تذكّرنا **بالواحد الذي** كان ضامنا حقاً، الذي بذل **نفسه** «عوضاً عن» اخرين، **وقد تم** قبول ذبيحته. «لِيَصْعَدِ الْغُلاَمُ مَعَ إِخْوَتِهِ»، هو صدى خافت من الكلمات هذه، «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا هُوَ. فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي فَدَعُوا هؤُلاَءِ يَذْهَبُونَ» (يوحنا ١٨: ٨).

الالتماس المخلص ليهوذا اذاب قلب الاخ المُحب، لم تكن محبّته أبداً موضع شك، لكن الاخوة لم يعرفوا شيئا عن مكنونات قلبه، عن المشاعر التي اخفاها عنهم بهكذا أتقان. وعزيزي القارئ، كم قليلة هي معرفتنا بالقلب المحب لالهنا الذي الى الابد رحمته. هو يرغب بمصالحتنا معه، كما اراد يوسف لاخوته ان يكونوا واحد معه.

اعلان ذاتي

«فَلَمْ يَسْتَطِعْ يُوسُفُ أَنْ يَضْبِطَ نَفْسَهُ لَدَى جَمِيعِ الْوَاقِفِينَ عِنْدَهُ فَصَرَخَ: «أَخْرِجُوا كُلَّ إِنْسَانٍ عَنِّي». **فَلَمْ يَقِفْ أَحَدٌ عِنْدَهُ حِينَ عَرَّفَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ بِنَفْسِهِ.** فَأَطْلَقَ صَوْتَهُ بِالْبُكَاءِ» (تكوين ٤٥: ١، ٢).

لاحظ، ان يوسف واخوته كانوا على انفراد، وانه هو من عرّف بنفسه. من كان آخر باستطاعته ان يعرّف بنفسه، والذي يقدر ان يعلن الرب يسوع الى نفس مضطربه غير **شخصه**؟ وتكون النفس على انفراد مع الرب عندما يُعطى هكذا اعلان بالنعمة، بالرغم من وجود اخرين ربّما على مقربة في ذلك الوقت. في يوم الخمسين، كل شخص من اولئك الثلاثة الاف تحت تبكيت الخطيئة كان موضوع عمل النعمة الفردي. كل واحد على انفراد مع الرب، **الذي** كان يهتم بكل واحد.

اخوة يوسف كانو «مذعورين» (تكوين ٤٥: ٣ في النص الاصلي) عند حضوره. الذي كانوا يتصورون انه ميت هو حي الان. أليست هذه فكرة جليلة، بان **الذي** مات هو حي الى الابد؟ الموت لم يقدر ان يدركه، ولا القبر أن يمسك بجسده، بالرغم من ختمه. في يوم مايزال في المستقبل، سوف تنظر اسرائيل الى الذي طعنته، وتدرك بان يسوع الذي صُلب مرة هو ليس الاّ المسيا، رب

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

المجد. يا له من اعلان جليل ذلك الذي سيكون، مروّعاً الى الغالبية العظمى، لكن آتياً بالخلاص الى بقية الأمّة المختارة!

مصالحة

«تَقَدَّمُوا إِلَيَّ» (تكوين ٤٥: ٤) قال يوسف لاخوته المنكمشين. «تقدّموا»؛ كلمات بهيجة للدعوة والتشجيع، هكذا يحب رب النعمة ان يخاطب الخاطئ المضطرب. «فَتَقَدَّمُوا». «أَنَا يُوسُفُ أَخُوكُمْ». هكذا عرّف الرب **بشخصه** لشاول الطرسوسي، «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ» (اعمال ٩: ٥).

لكن يوسف اضاف، «الَّذِي بِعْتُمُوهُ إِلَى مِصْرَ» تلك كانت خطيئتهم البارزة، الغير معترف بها من قبلهم، لكن بحاجة الى تسليط النور عليها، من اجل ان تكون المصالحة كاملة. لان أي سلام دائم كان سيكون لديهم لو بقي ذلك متوارياً في خبايا قلوبهم؟

اوه، كم هي الحاجة الى الاعتراف الكامل وهجر الخطيئة من اجل ان يحصل الضمير على ارتياح كامل! كم كامل هو الغفران والتطهير الذي يمنحه الاله بسبب الدم الغالي **لابنه الحبيب**! من خلال ذلك فقط يمكن ان يكون هناك «ضمير طاهر».

في حالة يوسف واخوته، كل النعمة كانت من جهته. «وَقَبَّلَ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ وَبَكَى عَلَيْهِمْ. وَبَعْدَ ذلِكَ تَكَلَّمَ إِخْوَتُهُ مَعَهُ» (تكوين ٤٥: ١٥). لذا فان الشركة تعقب المصالحة.

علاقة وشركة

أن القلب المُحب ليوسف لم يظهر قط بهذا النحو من الرقّة كما بدا في القصة المثيرة للمشاعر في **الاعلان** عن نفسه و**المصالحة** التي عقبت ذلك. لقد عرف الأسوأ عنهم ومع ذلك أحيا **العلاقة** معهم على اكمل وجه. «أَنَا يُوسُفُ **أَخُوكُمْ**» (تكوين ٤٥: ٤). كل صفحات الماضي قد طويت ونسيت في عبارته هذه «تَقَدَّمُوا إِلَيَّ» واستخدام كلمة أخ المحبّبة. ليس بعد اجنبي، كريم، قليل الرحمة، بل اخ محب وحي. كل هذا تم تحقيقه في وعند المرموز اليه العظيم، الرب يسوع. انه **هو من** يقول «تعالوا» **الذي** كان ينبغي ان يشبه اخوته وقاسى الموت عوضا عنهم. انه **هو من** لا يستحي

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

ان يدعوهم اخوة (عبرانيين ٢: ١١، ١٧)، **الذي** يقول «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ» (يوحنا ٢٠: ١٧). خطايانا جاءت به الى الصليب؛ لكن، بينما يجعلنا ندرك ضخامتها، هو لا يعيّرنا بها باستمرار. هو يعزّي بلغة كالتي استخدمها يوسف. «وَالآنَ لاَ تَتَأَسَّفُوا وَلاَ تَغْتَاظُوا لأَنَّكُمْ بِعْتُمُونِي إِلَى هُنَا، لأَنَّهُ لاسْتِبْقَاءِ حَيَاةٍ أَرْسَلَنِيَ الإِلهُ قُدَّامَكُمْ» (تكوين ٤٥: ٥). كم تشبه هذه الكلمات تلك التي قالها بطرس، «هذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّمًا بِمَشُورَةِ الإِلهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ» (اعمال ٢: ٢٣). «وَالآنَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ بِجَهَالَةٍ عَمِلْتُمْ، كَمَا رُؤَسَاؤُكُمْ أَيْضًا» (اعمال ٣: ١٧).

لكن يوسف لم يُرسل لاستبقاء الحياة عموما فحسب؛ بل من اجل اخوته بشكل خاص. «فَقَدْ أَرْسَلَنِيَ الإِلهُ قُدَّامَكُمْ لِيَجْعَلَ لَكُمْ بَقِيَّةً فِي الأَرْضِ وَلِيَسْتَبْقِيَ لَكُمْ نَجَاةً عَظِيمَةً» (تكوين ٤٥: ٧). يؤكد للمرة الثالثة على الحقيقة الكريمة لقصد الاله «لَيْسَ أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمُونِي إِلَى هُنَا بَلِ الإِلهُ» (اية ٨). كم هو مبارك معرفة ان خطط الاله لا تفشل أبداً، وبالرغم من انه قد يستخدم ويهيمن على طرق الناس من اجل تحقيق مشيئته، الاّ انه لا نخر يُنسب اليهم: «ليس انتم، بل الاله». بعد ذلك ذكّرهم يوسف، «أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا الإِلهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا، لِكَيْ يَفْعَلَ كَمَا الْيَوْمَ، لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا» (تكوين ٥٠: ٢٠).

«مخلّصاً» و «ربّاً»

لذلك فان يوسف كان «مُخلّصاً»، لكنه استطرد واخبر اخوته بانه كان «سيّداً» على بيت فرعون، واوصاهم ان يقولوا هذا لابيهم. «الإِلهُ قَدْ جَعَلَنِي أَبًا لِفِرْعَوْنَ وَسَيِّدًا لِكُلِّ بَيْتِهِ وَمُتَسَلِّطًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ» (تكوين ٤٥: ٨). بهذا الاعلان الذاتي ليوسف، فانه بحسب اختبار اخوته:

ا. الـ «ميت» يصبح حيّ
ب. الغريب المبجّل يصبح اخاً
جـ. الذي كان مرة مرفوضا يصبح مُخلّصاً، سيّداً، ومُعيلاً

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

ان كل هذا، كما يُشاهد بوضوح، يصوّر كيف اصبح الرب يسوع لشعبه المُخلّص، لكن بكم اعظم من هذا المقياس، نعم، وبلا حدود! البشارة يجب ان لا تُخفى. الاخبار السارّة ينبغي ان تُعلن. احد عشر شخصا تم احياؤه، اخوة تصالحوا، والان تم ارسالهم ومعهم رسالة تعزية الى اب طاعن في السن. يوسف، الذي اعطى الاله كل المجد على ترفيعه («الإله قَدْ جَعَلَنِي» تكوين ٤٥: ٨، ٩) آمن به، واستطاع ان يعلن مشيئته المختصّة بالمستقبل. كان هناك بعد لاتزال خمس سنوات من الجوع، لكن لاداعي ليعقوب وعائلته أن يقلقوا أزاء ذلك. «انْزِلْ إِلَيَّ. لاَ تَقِفْ...وَتَكُونَ قَرِيبًا مِنِّي...وَأَعُولُكَ هُنَاكَ» (تكوين ٤٥: ٩-١١) كانت كلمات يوسف الى ابيه، بواسطة الاخوة. قبل ان ينطلقوا، على ايّة حال، اعطاهم علامة على صدق المصالحة. «وَقَبَّلَ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ وَبَكَى عَلَيْهِمْ. وَبَعْدَ ذلِكَ تَكَلَّمَ إِخْوَتُهُ مَعَهُ» (اية ١٥).

كم كانت الدعوة حافلة ومزكّاة ايضاً من قبل فرعون وحاشيته! «وَلاَ تَحْزَنْ عُيُونُكُمْ عَلَى أَثَاثِكُمْ، لأَنَّ خَيْرَاتِ جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ لَكُمْ» (اية ٢٠). لكن اية خيرات غير فانية تلك التي هي للمؤمن في ربّنا المجيد! «فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَكُمْ...أَنْتُمْ فَلِلْمَسِيحِ، وَالْمَسِيحُ للإِلهِ» (١ كورنثوس ٣: ٢١، ٢٣). «فَيَمْلأُ إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (فيلبي ٤: ١٩).

ثم كانت هناك مؤونة للرحلة الى ارض كنعان ورجوع عائلة يوسف باكملها الى مصر، التي شملت كلاً من الطعام والملابس، وايضا مركبات للنقل؛ كل ذلك بسبب بصيرة يوسف المُحبّة، الذي سعادته لم تكن لتكتمل الاّ بمجيء ابيه الحبيب.

«ثُمَّ صَرَفَ إِخْوَتَهُ فَانْطَلَقُوا، وَقَالَ لَهُمْ: ‹لاَ تَتَغَاضَبُوا فِي الطَّرِيقِ›» (تكوين ٤٥: ٢٤). الم تكن تلك نصيحة حكيمة، وألسنا نحتاج نحن اليوم الى مثل هذا النصح؟

حاملو الاخبار السارّة

نحن نقترب من نهاية تأملنا لحياة وخدمة خادم الرب هذا. لقد رأينا في معاناته، واتضاعه، وتساميه، كيف انه ليس مثالاً يحتذى به من قبل اولاد الاله فحسب، بل نمطاً كاملاً وعلى نحو جدير بالملاحظة، لابن الاله الحبيب، الرب يسوع المسيح.

المصالحة مع اخوته، ابتداءً مع شخصه، تقود الى اجتماع مع ابيه الحبيب، الذي استطاع ان يعيله

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

لبقيّة حياته، والذي حصل على بركته لنفسه ولاولاده قبل ان «يرقد» يعقوب.
في تلك الرحلة الاخيرة الى كنعان، حمل الاخوة زاداً يوفرة عند ذهابهم الى هناك، وعند رجوعهم مع ابيهم واهل بيتهم الى مصر. كله بسبب مؤونة يوسف. لم يكن لديهم أي يد في ذلك. كانوا فقط مستقبلين للبركة، وحاملين للبركة والاخبار السارّة الى ارضهم، او بالحري، ارض غربتهم. كان بمقدورهم ان يتحدّثوا من خلال تجربتهم عن:

ا. يوسف الحي
ب. يوسف القادر والعازم على تسديد كل احتياجاتهم الأرضية
ج. ان يأتوا بدليل عن هذه الحقائق الى أبيهم الكبير في السن

وأي تجربة عن مُخلّص حي وسامٍ لديه القارئ بعدما سبق وان رذله ورفضه؟ اذا كانت المصالحة مع الاله من خلال عمله الكامل على الصليب معروفة، من خلال العمل العميق للروح القدس، فانه لامتياز ايضا ان يعرفه على انه قادر ان يلبّي كل احتياج، ويكمل حتى نهاية غربته. فضلاً عن ذلك، انها لبهجه له بان يتحدّث عن هكذا **مخلّص** الى الاخرين. ياترى كيف تبادل اخوة يوسف الحديث في طريق عودتهم؟ بمن استطاعوا ان يتحدّثوا غير يوسف؟ لقد حملوا معهم كثيرا من علامات محبّته، لكن اياه عرفوه **شخصيا** بشكل جديد، وعن شخصه كانوا مُلتهبين في الحديث عندما رجعوا ثانية الى يعقوب.

الترحيب بالأخبار السارّة

وكيف تلقّى يعقوب الرسالة؟ «فَصَعِدُوا مِنْ مِصْرَ وَجَاءُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، إِلَى يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ. وَأَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ: ‹يُوسُفُ حَيٌّ بَعْدُ، وَهُوَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ›. فَجَمَدَ قَلْبُهُ لأَنَّهُ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ» (تكوين ٤٥: ٢٥، ٢٦). هكذا كان تفاعله مع الخبر الذي أُذيع له فجأةً. لكنه أنتعش، وكيف؟ «ثُمَّ كَلَّمُوهُ بِكُلِّ كَلاَمِ يُوسُفَ الَّذِي كَلَّمَهُمْ بِهِ، وَأَبْصَرَ الْعَجَلاَتِ الَّتِي أَرْسَلَهَا يُوسُفُ لِتَحْمِلَهُ. فَعَاشَتْ رُوحُ يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ. فَقَالَ إِسْرَائِيلُ: ‹كَفَى! يُوسُفُ ابْنِي حَيٌّ بَعْدُ. أَذْهَبُ وَأَرَاهُ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ›» (اية ٢٧، ٢٨).

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

ألا يذكّرنا ذلك بسرد الاحداث في لوقا ٢٤؟ قلبان ضعيفان كانا قد انتعشا بسبب كلمات **المُخلّص** المُقام، وبسبب رؤية من كسر الخبز لهم، رمزاً مباركاً للاعالة من خلاله. قلبان ملتهبان بشّرا بالاخبار السارة **لرب مقام**. لاحظ، انه قلب **يعقوب** الذي جمد، لكنه **اسرائيل** من قال، «كفى!». عدم الايمان كان من نصيب الطبيعة القديمة. الايمان يعود الى الجديدة. لم يكن الامر مجرّد، «أَذْهَبُ»، بل «أَذْهَبُ وَأَرَاهُ». وهل لدينا هذا التوق لرؤية ربّنا؟ هل بامكاننا ان نقول، «أريد ان اذهب وأراه»؟

لقد تشجّع يعقوب اكثر برؤيا في الليل، حينما كلّمه الرب وأمره، «لاَ تَخَفْ مِنَ النُّزُولِ إِلَى مِصْرَ» (تكوين ٤٦: ٣)، قام ونزل الى مصر مع كل نسله، ستة وستون شخصاً. «فَشَدَّ يُوسُفُ مَرْكَبَتَهُ وَصَعِدَ لاسْتِقْبَالِ إِسْرَائِيلَ أَبِيهِ إِلَى جَاسَانَ. وَلَمَّا ظَهَرَ لَهُ وَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَبَكَى عَلَى عُنُقِهِ زَمَانًا» (اية ٢٩). هذا المشهد المؤثر مرة اخرى يوضّح رقّة يوسف. كان لديه قلباً محباً، لكن اكثر بالحري هي محبّة ورقّة ربّنا يسوع المسيح!

«فَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: «أَمُوتُ الآنَ بَعْدَ مَا رَأَيْتُ وَجْهَكَ أَنَّكَ حَيٌّ بَعْدُ»» (اية ٣٠، انظر ايضا ٤٥: ٢٦، ٢٨). هكذا كان التأكيد على الحياة! تذكّر كلمات الرب يسوع، «أَنَا هُوَ...الْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ! آمِينَ» (رؤيا ١: ١٧، ١٨).

عودة الى اخوة يوسف، نقرأ بان فرعون تكلّم معه، وليس معهم. وانه من **اجله** قال الملك «أَرْضُ مِصْرَ **قُدَّامَكَ**. فِي أَفْضَلِ الأَرْضِ أَسْكِنْ أَبَاكَ وَإِخْوَتَكَ» (تكوين ٤٧: ٦، لاحظ ايضا ٤٥: ١٨-٢٠). وألسنا نحن مباركين بسبب الرب يسوع؟ نعم، «بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي **الْمَسِيحِ**» (افسس ١: ٣)؟ بدونه نحن لا نملك شيئاً.

الكل بالنعمة

كله كان من لدن يوسف، بعد الاله، ذلك ان اولاد اسرائيل قد استبقيوا أحياء في زمن الجوع. لم يكن لديهم الحق في سخائه، لأنهم من خلال رفضهم الأثيم، خسروا اي مطالبة بلطفه وأحسانه. كانت تصرفاته من جهتهم، قبل المصالحة، قد اظهرت ما كان يستحقونه حقاً، سجن (شمعون)،

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

الصاق الخطيئة اليهم، الاصرار على رؤية الاخ الأصغر، عدم الاكتراث (بشكل ظاهري) الى عذابات ذهنهم وضميرهم، كان كل ما يستحقّونه. وهذه هي الحال ايضاً مع المخلوق من جهة علاقته بالاله. المسيح كان «مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ» (اشعياء ٥٣: ٣). أليس ذلك كافياً لعدم نيل رضا الاله الابدي؟ لكن كل شخص لديه خطايا متراكمة، وقمة الخطايا هي «الَّذِي لاَ يُؤْمِنُ»، «لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ الإِلهِ الْوَحِيدِ» (يوحنا ٣: ١٨). من ذاتنا نحن لا نملك شيئاً غير القصور وعدم الاستحقاق.

وبرغم القسوة مع اخوة يوسف، الاّ انهم حصلوا على عطايا بنعمة خالصة. لم يكن مُلزما بان يطعمهم، مع ذلك اعطاهم طعاما وفيراً، وكان ذلك مجّاناً.

والان بعد ان المصالحة، يعطيهم حلل ثياب، وزاداً وفيراً للطريق؛ وهو الشيء عينه الذي يصنعه الرب يسوع مع الخاطئ الراجع والتائب (انظر لوقا ١٥: ١١-٣٢). بالاضافة الى ذلك اعطاهم مسكناً، «فِي أَفْضَلِ الأَرْضِ» (تكوين ٤٧: ١١). «وَعَالَ يُوسُفُ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ وَكُلَّ بَيْتِ أَبِيهِ بِطَعَامٍ عَلَى حَسَبِ الأَوْلاَدِ (في النص الاصلي على حسب الصغار)» (اية ١٢).

نمط من الكنيسة

وبهذا تم توفير الخبز والسكن بشكل تام ومجاني للعائلة المختارة. يا لها من صورة لكنيسة المسيح، والكنيسة المحلّية ايضاً! انها مؤلّفة من اشخاص مخلّصين، مصالحين، متّكلين على المسيح فقط، **الذي** لا يستحي ان يدعوهم اخوة (عبرانيين ٢: ١١). فهم عائلة والمحفل هو مسكنهم الحقيقي. هم «رعاة» — ليسوا عظماء الارض، وبالرغم من أن كل راعي غنم ربّما يعتبر «رِجْسٌ لِلْمِصْرِيِّينَ» (تكوين ٤٦: ٣٤)، فهم احبّاء الى «يوسف» الحقيقي، يسوع ربّهم، الذي ختم عليهم بقبلة المصالحة، **الذي** يهتم بهم، نعم، الذي اناط بهم ايضا مسؤولية صاحب الفندق (لوقا ١٠: ٣٥) — الروح القدس — في فترة غيابه لـ «يومين».

لاحظ ايضا، انه في تكوين ٤٦، تم تسجيل كل اسمائهم بعناية، لبيان اهتمام الاله بشعبه، **الذين** اسماؤهم مكتوبة في السماء.

في خضم هذا المشهد لسلام مبهج وعائلة مبتهجة، قد نبتغي ان ننصرف منهم، ولكن ما بقي ان نلاحظه هو كيف تعامل يوسف مع اولئك الذين لم يكونوا من عائلته.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

نمط من المُلك الألفي

لو اعتبرنا الاحوال التي في ارض جاسان كرمز لبركات الملك الألفي، وربما هي كذلك، طالما انها عقبت مصالحة اسرائيل بسلام وشركة مع من كان زماناً مرفوضاً، قد نرى ايضا نمطاً من تعاملات الرب مع «الشعوب». قد تمت تغذية، وأعالة، واستبقاء المصريين، لكن ليس على اساس «النعمة». قد دفعوا ثمن كل ما نالوه، من نقودهم، مواشيهم، حقولهم، واشخاصهم. لذلك صاروا مُلكاً كاملا ليوسف تحت فرعون.

كذلك الامر عندما يكون اسرائيل مرة اخرى في أرضه، كشعب مُخلَّص، والرب يسوع يحكمه، سوف تحصل الامم على البركة ايضاً، لكنهم سيكونون بالكامل ملكاً ليسوع، رب المجد (مزمور ٢). ان ترتيب تعاملات الاله على يد يوسف تنذر بشكل واضح عن تعاملاته عن طريق وساطة ابنه.

١. لقد تبارك المصريون (الامم) اولاً، كشعب حر، من خلال يوسف

٢. لقد أُحضر اولاد اسرائيل الى غنى البركة والسلام، من خلال المصالحة مع يوسف

٣. لقد استفاد المصريون (الامم)، من خلال يوسف، لكن ليس بعد كشعب حر

يمكننا ان نقتفي اثر الخطة الالهية الموحى بها بالنبوءة في الكتاب المقدّس على طول الخطوط العريضة هذه، لكل من اسرائيل والامم، منذ رفض الرب يسوع. الكنيسة مؤلفة بشكل اساسي من امم مُخلّصين، الذين من أجلهم لا يُسمح لديونة العالم ان تأتي. عندما تُختطف الكنيسة، عندئذ اسرائيل سوف «تولد من جديد»، وسوف يسود السلام في كل بقاع الارض، والشعوب سوف تُعاقب من خلال دينونات الاله.

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

أفكار ختامية

دعونا نختتم هذا التأمل عن حياة يوسف ببعض الافكار حول البركات المُعلنة — من قبل يعقوب في تكوين ٤٩، ومن قِبَل موسى في تثنية ٣٣.

يوسف كان «نَذِير (مفروز عن) إِخْوَتِهِ» (تكوين ٤٩: ٢٦)، كان «مكروهاً»، «مرمياً عليه» (تكوين ٤٩: ٢٣، ٢٦؛ تثنية ٣٣: ١٦)، ومع ذلك كان «مُثْمِراً»، «غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ عَلَى عَيْنٍ» (تكوين ٤٩: ٢٢). تحصل الشجرة على البركة من خلال المياه، ويوسف قد شرب من عين زاد محبة الاله. من هنا جاءت اثماره. «أَغْصَانٌ قَدِ ارْتَفَعَتْ فَوْقَ حَائِطٍ» (الاية نفسها)، حتى ان اولئك الذين في الطرف الاخر قدروا ان يروا ويتناولوا الثمر. الرب يسوع هو **الواحد المثمر** (مزمور ١). «نَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ» (افسس ٢: ١٤) لكي يكون الامم واليهود مباركين فيه. لقد وردت كلمة «يبارك» او «بركات» ستة مرات في تكوين ٤٩، والكلمة «نفائس» خمس مرّات في تثنية ٣٣. هناك «سيادة» للبركات، كان «قوياً»، كان لديه «مجداً». كانت له «يَدَيْ عَزِيزِ يَعْقُوبَ» (تكوين ٤٩: ٢٤)، و «وَرِضَى السَّاكِنِ فِي الْعُلَّيْقَةِ» (تثنية ٣٣: ١٦).

الكل يتحدث عنه، **الذي هو** متقدّماً في كل شيء، **الذي** تألم ودخل الى مجده (لوقا ٢٤: ٢٦). **الذي** حلّت على رأسه كل «البركات» والـ «نفائس». الذي سُرّ الآب به، ومن اجله وفيه، اصبح القديسون مباركين «بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ» (افسس ١: ٣).

«فَلَكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تُؤْمِنُونَ الْكَرَامَةُ (هو ثمين او نفيس)» (١ بطرس ٢: ٧).

أي. ك.

الخاتمة

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved